ماقل وشل

daralmoltaqa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-85411-4-4
رقم الإيداع القانوني: 2018/19705

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: Mohamed Saleh شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

daralmoltaqa@gmail.com

محمد رفعت

ما قل وشل

ملتقى المعرفة

daralmoltaqa@gmail.com

إهداء

إلـى روح أمي وأبـي اللذين أديـن

لهما بكل ما حققت في حياتي

محمد رفعت

daralmoltaqa@gmail.com

الفصل الأول:

عادات وافتكاسات يارب نعدمها

أزمة العنوسة وشرط العذرية!

أزمــة تقدم ســن الــزواج أو "العنوســة"، ذلك اللفظ القاســى الذى تســتخدمه وســائل الإعلام وتتداوله الألســنة فى كل مكان وينزل مثل الســوط على جســد كل فتاة وفتى تجاوزوا مرحلة الشباب أو كادوا أن يتجاوزوها دون أن يوفقوا فى العثور على ابن أو بنت الحلال.

هــذه الأزمة لهــا أبعاد كثيــرة بعضها نفســى، وبعضهــا خرافى، وبعضهــا يــدل على تخلف عقليــات كثيرة فى هــذا المجتمع، وروتين قاتل وتفكير حكومى عقيم يتعامل مع الأمور كلها بمنطق جامد وضيق الأفــق، وإليكم أمثلة مضحكة مبكية من أبعاد أزمة العنوســة فى مصر المحروسة ..

الجانب النفســى فى الموضوع معروف للجميع، ويجعل الفتاة التى تجاوزت ســن الزواج تشــعر وكأنها أصبحت عبئاً ثقيلاً على أسرتها، ممــا يجعلها تســتجيب أحيانــاً لضغط الأهــل لقبول أى عريــس يتقدم للارتباط بها، حتى ولو كانت متأكدة مائة بالمائة أنه غير مناســب لها، وأنها لن تكون سعيدة معه، وهو ما يتسبب بعد ذلك فى الطلاق المبكر الذى زادت نســبته بشــدة فى الســنوات الأخيرة، وخاصــة بين حديثى

الزواج، وقد تدفع هذه الضغوط العائلية الفتاة إلى الانحراف رغبة منها فـى اصطياد عريس بأى طريقة، وقد يقودها إلى الاكتئاب، وحتى إلى الانتحار فى بعض الأحيان .

أمـا الرجل العانس فهـو يدفن همومه، وعجزه عـن توفير تكاليف الـزواج، أو سـوء حظه فـى الاختيار، وفشـل محاولاتـه العديدة فى الارتبـاط، إلـى دفن هـذه الهموم فـى الإفراط فى التدخيـن أو تعاطى المخـدرات والخمور، أو محاولة الهروب من الواقع بالاسـتغراق فى القـراءات الدينية واللجوء إلى "الدروشـة" أو حتـى التطرف الدينى، أو الانغماس فى جلسـات الأنس مع الأصدقاء على المقاهى، أو إدمان "الشات" على شبكة الإنترنت، أو أى شىء يعوضه عن هذا الفشل فى إثبات رجولته وقدرته على إيجاد شريكة لحياته.

أمـا البعد الخرافى فيتمثل فى بعض المعتقـدات لدى عدد كبير من الأسر حول أسباب جلوس البنت لسنوات طويلة بدون زواج، رغم تقدم العرسان لها فى بعض الأحيان، أو امتناعهم عن طرق بابها فى أحيان أخـرى، وفـى الحالتين يعلقون ذلك على شـماعة "الأعمال السـفلية" ويمارسون طقوساً معروفة لطرد الأرواح الشريرة، أو فك العمل، وقد يلجأون إلى دجالين ومشـعوذين، وينفقون كثيرا من الأموال فى سـبيل تخليص بنتهم من هذا "العمل السـفلى" المزعوم، والغريب أننا ونحن فى الألفية الثالثة لا تزال نسـبة كبيرة من الناس تعتقد مثل هذه الأشياء التى تزيد حالة الفتاة التى تجاوزت سـن الزواج النفسية سوءاً، وترسخ عندها عقدة يصعب حلها من أنها محكوم عليها بالعنوسة والفشل بفعل

قوى خفية شـريرة لا تعلمها، وقد تسـيء الظن فى محاولة تخمين من هـى، ببعض الأهـل والأقارب والجيـران أو المعـارف الذين يطالهم الاتهام بتدبير المكيدة وتجهيز عمل سـفلى لها حتى تلزم بيت أبيها ولا تغادره أبداً إلى بيت العريس المرتقب.

وهنـاك بعد آخـر روتينى حكومى عقيم، تتعامل مـن خلاله الدولة مـع هذه الظاهـرة عن طريق وزارة الشـئون الاجتماعية التى تحولت منذ سـنوات إلى وزارة التضامن الاجتماعـى، والمضحك أن الوزارة تمنح معاشـاً للفتاة العانس كان يبلغ منذ عشر سنوات مضت ١٥ جنيهاً فى الشـهر، ثم زاد مؤخراً إلى ٥٠ جنيهاً، والمخجل هو الشروط التى تفرضهـا الـوزارة للحصول على معاش العانس، وأهمها ألا يقل سـن الفتاة عن ٣٥ سـنة، وأن توافق علـى إجراء فحص طبى دورى للتأكد من أنها لا تزال عذراء حتى تكون مستحقة لمعاش العانس!.. وبالطبع هذا البند المتخلف فى قانون التأمينات والمعاشات المصرى لا يوجد له مثيـل فى أى بلد محتـرم أو غير محترم، متحضر أو متخلف.. وعمار يا بلدنا!.

الرجل.. كيس جوافة!

"أنا كلمتى لا يمكن تنزل الأرض أبدا.. طيب معلش تنزل المرة دى".. هذه الجملة الساخرة التى قالها عبقرى الكوميديا الراحل، وخريج مدرسة "الفرير" الفنان عبد الفتاح القصرى، لزوجته قوية الشخصية فى فيلم "ابن حميدو"، لتدل على مدى سيطرتها عليه، وعدم قدرته على فرض رأيه أو كلمته عليها، وأن كل غضبه وحنقه ينتهى فى النهاية إلى لا شىء "وينزل على فاشوش".. ويبدو أن هذه الجملة قد أصبحت بالفعل تحكم الكثير من العلاقات فى البيوت المصرية.. فالظاهر أمام الناس هو أن الرجل يسيطر على المرأة، بل وقد يضطهدها فى ظل مجتمع ذكورى، وقوانين تنحاز إلى الرجل.. وأن المرأة العربية بشكل عام مظلومة ومقهورة.. لكن الحاصل فى الواقع عكس ذلك تماما.. وصورة "سى السيد" الذى يشخط وينطر ولا ينتظر من زوجته الست "أمينة" المنكسرة الغلبانة سوى السمع والطاعة.. هذه الصورة اختفت أو كادت أن تختفى من المجتمع المصرى.. والمرأة الآن لا تكتفى بالنقاش والتشاور، لكنها فى الحقيقة ومن وراء الستار، وأحيانا من أمامه هى صاحبة القرار، وعلى الزوج أن يكتفى بالصراخ أحيانا، وبالتهديد أحيانا أخرى، قبل أن يرضخ فى النهاية لما تقوله الزوجة.

والبعض يرى أن السبب فى اختفاء ظاهرة "سى السيد" هو خروج المرأة للعمل ومشاركتها للرجل فى الإنفاق وتحمل تكاليف وأعباء الحياة

ومصاريـف البيت والأولاد، بـل وكثير من الزوجـات تفوق دخولهن دخـول ومرتبات أزواجهن، وتتحملن القدر الأكبر من مصروف البيت ونفقـات المدارس.. وقـد يكون هذا صحيحا، أو علـى الأقل عاملا من عوامل تهاوى قوة الرجل وسـطوته على المرأة.. لكن.. ماذا نقول عن الزوجـات المسـيطرات من ربات البيوت اللاتـى لا تعملن ولا توفرن للأسـرة أى نوع مـن أنواع الدخل المادى، وتعتمدن بشـكل كامل على الزوج فى الإنفاق.. لماذا لا يستسـلم لهـن الرجل، إذا كان الأمر متعلقا بالمادة، ومن الذى لا ينفق أو من يكسب أكثر ومن يكسب أقل!.

والبعض يرجع الأمر إلى زيادة نسـبة التعليم، خاصة بين الفتيات، وانتشـار التليفزيون بأفلامه ومسلسـلاته، التى تعلـم المرأة كيف تثور وتتمرد، وخصوصا رغباتها وأوامرها، حتى جاء التليفزيون، وسـمع الجميـع، ربمـا لأول مـرة، كلمـات تحقيق الـذات والخلـع والحقوق والمحاكـم، فضلا عن المسلسـلات والبرامج التـى تتحدث عن حقوق المـرأة وضرورة مسـاواتها بالرجل فى كل شـىء.. وربما يكون ذلك بالفعل أحد أهم الأسباب، لكنها ليست هى الأخرى كل شىء.. ويبدو أن هناك شيئا ما قد تغير فى ''جينات'' الرجل الشرقى نفسه، وجعله يتخلى عن عاداته القديمة.. ويتحول إلى ''كيس جوافة'' فى البيت.. ويقتنع بأن الأفضل له أن يربى ''عياله'' ، بدلا من أن يربى ''شاربه''!

ثقافة "النفخة الكذابة"!

أعـرف زميلاً اضطر للاسـتدانة من "طـوب الأرض"، وقبل أن يحصل على أموال بالربا، حتى يقيم حفل زفافه فى فندق خمس نجوم، ويدعو رئيسـه فى العمل، وقيادات المؤسسة لحضور الحفل، ويتباهى أمامهـم وأمام أهل العـروس بقاعة الفرح ونوع الكوشـة وعدد أدوار "تورتـة" الزفـاف.. وبعد انتهاء الحفل ظل يقتطـع من راتبه أكثر من النصف كل شهر، حتى يسدد ما عليه من قروض بسبب إدمانه للتفاخر والتظاهر أمام الأهل والأصدقاء والمعارف والجيران.

واذكر زميلاً آخر من أيام الجامعة كان يسكن فى حى شعبى قريب مـن حى آخر راقٍ، وظـل يكذب ويدعى أنه يعيش فـى حى الأثرياء، حتى انكشـف أمره على طريقة فيلم "أنا لا أكذب ولكنى أتجمل" للنجم الأسـمر الراحـل أحمد زكـى، وكان موقفه مخزياً وتركتـه الفتاة التى يحبها، لا لأنه يسـكن فى حى شعبى عشـوائى، ولكن لأنه كذب عليها وعلى الجميع!.

وأسـمع مـن زميل آخـر الآن كل يـوم حكاية مختلفة عن أسـباب كراهيته لنظـام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورجال ثورة يوليو الذى صادروا أراضى جده الباشـا!.. وعـن والده المرحوم الذى يقول لى مرة، إنه كان "حكمدار" فى الشـرطة ومدير أمن، وينسـى أنه قال

لــى ذلك، ويحكى مرة أخــرى عنه باعتبار أنه كان جنرالاً فى الجيش، وحارب فى النكســة وفــى النصر، ثم يتحول بعدهــا بفترة غير طويلة إلــى قــاضٍ ورئيس محكمــة.. أما أحــدث أكاذيبه لى فهــى أن زوجته أمريكيــة، وأنه يتحدث معها الإنجليزية، وقد نســى بالطبع أننى ســبق أن التقيــت به مع زوجته بالصدفة فى أحد "المولات"، وكان مظهرها يــدل على أنهــا عادية جداً، بل وبصراحة "بيئــة طحن"!.. ولكن حب "الفشــخرة" وادعاء الانتســاب إلى الباشــوات القدامى والجدد وعلية القوم وأصحاب النفوذ وعقدة الخواجة والإحســاس بالدونية ومركبات النقص، كلها أســباب وراء أكاذيب هــذا الزميل وغيره ومثله كثيرون. والحقيقة أن هذه النزعة المتأصلة فى معظم المصريين هى السبب فى كثير من المشــكلات التــى نعانى منها والمصائب التــى تحدث لنا، بل تكاد تكون السبب الحقيقى فى خراب البيوت.. وعنوسة البنات وإحجام الشــباب عن الزواج.. بل والسبب فى كثير من جرائم الرشوة والسرقة والاختلاس، لأن محاولات البعض للظهور بمظهر لا يتفق مع دخولهم الحقيقية، وسعى البعض الآخر للتشبه بزملائهم أو جيرانهم أو أقاربهم، حتى لا يبدو أنهم أقل منهم فى الشــأن أو المكانة، وهذا ما يدفع البعض إلى الكــذب فى بعض الأحيان، لتعويض الفــارق المادى والاجتماعى ولــو بالكلام، ويدفع آخرين إلى الرشــوة أو الحصــول على المال بأى طريقة، حتى ولو كانت غير مشروعة، حتى لا يراهم الناس فى وضع أقل من أقرانهم.

وقال لى مصرى مغترب فى إحدى دول الخليج منذ سنوات طويلة، وفتح الله عليه كثيراً، بعد أن كان فقيراً، إنه لا يشعر بقيمة البدلة الآلية

التــى يرتديها، أو الســيارة الفــارة التى يقودها، أو أى شــىء يملكه أو يشــتريه أو يرتديه، إلا وهو فى مصر، حيث يرى انعكاس صورة هذه الأشياء فى عيون من يعرفهم، ويتحقق بنفسه من نظرات الإعجاب أو الحسد.. وبدون ذلك لا يشعر بأنه قد حقق شيئاً.. بالله عليكم.. ألا يحتاج الكثيرون منا إلى الذهاب وفوراً إلى أقرب طبيب نفسى؟!

الشراقوة والصعايدة والمنايفة!

"المنوفى لا يلوفى ولو أكلته لحم كتوفى".."ميت نورى ولا دمنهورى".. "شرقاوى كورك عبيط".. "شريطين على كمى ولا فدانين عند أمى".. هذه عينة من العبارات التى تلتصق بأبناء المحافظات "قبلى وبحرى"، وتتوارثها الأجيال كجزء من تراث ثقافى يشجع على التنابذ بالألقاب والجمل المأثورة حول صفات وسمات كل إقليم من أقاليم مصر المحروسة.

وقد حظى "المنايفة" بالقسط الأوفر من الجمل والمأثورات الشعبية التى تصفهم بحب الالتصاق بالسلطة والإنتماء للحكام.. ودليل الناس هو هذا العدد الكبير من الحكام والوزراء والمحافظين الذين ينتمون لأصل منوفى، ويمثلون النسبة الأكبر من أصحاب المناصب العليا ورؤساء المؤسسات الحكومية.. بعد أن تفوقوا على الصعايدة بعد رحيل ممثلهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. لكن التنافس فى إدانة أبناء كل إقليم للآخر عادة قديمة، وممتدة إلى عصر الفراعنة، والمصريون القدماء الذين تركوا على أوراق البردى ما يؤكد اعتزاز أبناء كل إقليم فى مصر بمسقط رأسهم وسخريتهم من أبناء الأقاليم الأخرى واستمرت هذه الصفات محفورة فى أذهان الناس إلى الآن..

فالصعايدة هم دائما من تطلق عليهم النكت والقفشات التى تتمحور غالباً حول السذاجة وسهولة الضحك عليهم، رغم أن التاريخ والواقع ينفيان ذلك، فكبار المثقفين والأدباء من طه حسين إلى العقاد والطهطاوى والمنفلوطى

والأبنـودى وأمل دنقل كلهم من أبناء الجنوب، وكبار الرأسـماليين ورجال الأعمـال الناجحيـن معظمهم مـن أصول صعيدية والساسـة وعـدد كبير مـن الصحفييـن وأصحاب الأقلام مـن مواليـد محافظات الصعيـد.. لكن لايـزال الانطباع السـائد هو الصـورة التى يمثلها "بلدياتنا" الذى اشـترى "التروماى "وصاحب دق العصفورة على صدغه.. و"الدمايطة" فى نظر كثيـر مـن أهالى المحافظات الأخـرى بخلاء، رغم أن كثيرا ممن عاشـوا هنـاك وتعاملوا مع أهل دمياط يؤكـدون عكس هذا الانطباع، ويفرقون بين الحـرص والاعتدال فـى الإنفاق الذى يميز "الدمايطة"، باعتبارهم أنشـط الناس فى مصر، وباعتبار محافظتهم هى المحافظة الوحيدة التى لا تعرف معنـى كلمة "البطالة" لأن أهلها يورثـون أبناءهم دائما المهن والصناعات التى برعوا فيها منـذ عصور طويلة.. من الموبيليا..إلى الجبن والحلويات، ومع ذلك فلا تزال عبارة "تتعشـى ولا تنام خفيف" التى ينسبونها لدمياطى قديم هى المسـيطرة على أذهان الكثيرين.. ولأنهم يقولون إن "الشـراقوة" أولاد عم الصعايدة، فهم يصفونهم هم الآخرين بالسـذاجة، على اعتبار أنهم اشـتهروا بأنهم هم الذين "عزموا القطـر"، رغم أن هذه الواقعة لو صحت تاريخيـا لكانـت دليلا على الكرم والمـروءة وليس العبط أو السـذاجة كما يتصور البعض..

لكن يبدو أننا كمصريين نميل دائما إلى الاستسهال وترديد المقولات التى نسـمعها دون مراجعة أو محاولة للفهم، وحتى يحدث ذلك سـأتغاضى عن عبارة "ماية مالحة ووشـوش كالحة" التى تقال عن الإسـكندرانية، وأبحث لكم فى كتب التراث الشعبى عن أقوال الفلاحين والصعايدة عن القاهريين!

باشاوات آخر زمن !

ثـورة يوليـو ألغت الألقـاب، ولم يعد هناك باشـا أو بك، وظل فقط لقب أسـتاذ ليطلقه عامة الناس على المتعلمين والأفندية تمييزا لهم عن التجـار، وقد كان الرئيس الأسـبق الراحل محمد أنور السـادات يكره هؤلاء الأفنديات والمثقفين ويسـميهم أصحـاب الياقات البيضاء، كناية عن القميص الأبيض الذى يرتديه الأفندى عادة تحت جاكيت البدلة.

ولأن السادات هو أيضا بطل الحرب والسلام والانفتاح السداح مداح، فقـد عادت الألقاب مرة أخـرى إلى أفواه المصريين فـى عهده مع تبديل بسـيط فيمن تطلق عليهم هذه الألقاب، وبدأ إطلاق اسـم الباشـا من جديد، ولكن على ضباط الشرطة، وامتد في عهد مبارك ليشمل الأمناء وكل من يرتدى البدلة الكاكى، وأصبح لقب الباشمهندس يطلق على أصحاب الورش وبعـض الحرفيين المتحذلقين، وخاصـة "الصنايعيـة" و"الميكانيكية"، والوحيـد الذى لا يطلق عليـه هذا اللقب من بين أصحاب المهن الحرة هو الحـلاق!.. أما لقـب "بيه" فهو حكر الآن على رجـال الأعمال وأعضاء المجالس النيابية وكل صاحب حظوة أو سطوة أو مال..

وبـات شـيئا عاديا الآن أن تجـد مذيعا فى التليفزيـون يخاطب رجل أعمال أو وزير أو عضو مجلس شعب فيقول له يا فلان بيه، بل ويحرص هؤلاء حين يسـتضافون معا على شاشـات التليفزيـون على أن يخاطبوا

بعضهـم البعض بهذا اللقب.. شـوف يا محمود بيـه.. وأنا رأيى يا محمد بيـه، وكأن الأمـر قد أصبح حقا مكتسـبا أو صفة رسـمية حصلوا عليها من دون التقرب إلى حاشـية الملك أو خسـارة مبلـغ معلوم على ترابيزة القمـار مع الحاكم، كما سـمعنا كثيـرا عن الطريقة التـى كانت تمنح بها الباشـوية والبكوية فى عصر ملوك أسـرة محمد علـى، وآخرهم بالطبع الملك الراحل فاروق!

ولأن المصريين يحبون الألقاب جداً ولا يسـتطيعون أبدا الاسـتغناء عن تداولها ومناداة بعضهم البعض بأسـمائهم المجردة مثل بقية شـعوب الأرض، فقد اخترعوا ألقابا جديدة تسمعها منهم فى كل مكان، فى الشارع وأماكن العمل ووسـائل المواصلات، وأحدثها انتشـاراً لقب يا نجم، ويا مدير ويا دكتور ويا مولانا.. وبالطبع فلا أحد ممن يطلق عليهم هذه الألقاب يسـتحق اللقب أو ينطبق عليه، فلا النجم فى الحقيقة نجم أو مشهور، ولا الدكتور دكتور، ولا مولانا شيخ أزهرى أو غير أزهرى، أو الحج قد حج من الأسـاس، فقـد اصطلح الناس من زمان علـى إطلاق لقب حاج على كل طاعـن فى السـن، وعلى كل من يرتدى جلابية يـا عمدة، وعلى أى بائع يا معلم، وعلى أى حد فى الدنيا يا ريس، رغم أن كلمة ''ريس'' هذه كانـت تطلق زمان على ''المراكبى'' أو صاحـب المركب.. لكنه الهوس بالألقـاب.. ويبدو أن فوضـى الألقاب التى عمت الشـارع المصرى منذ سنوات ليست سوى جزء من الفوضى العارمة التى أصبحت تحكم حياتنا والعشوائية فى كل شىء حتى فى مظاهر التقدير والتبجيل والاحترام!

تجارة "العمرة"

المصريون شعب متدين بالفطرة، ولكن الدين عند المصريين ينفصل تماماً عن السلوك وعن العمل، ويختلط ببدع وعادات وأعراف وطقوس منها ما له علاقة بالدين، وما له علاقة بالرغبة المصرية القديمة والعريقة فى التباهى والتفاخر، وتحويل ما هو روحى إلى ما هو مظهرى ودنيوى وأحياناً سلطوى.

وقد حضرت مؤخراً مناقشة حامية بين مجموعة من أقربائى يتبارى فيها كل واحد منهم بحصر عدد "العمرات – جمع عمرة" التى قام بها للأراضى المقدسة.. وأحدهم قام بـ 27 عُمرة، والثانى بعشرين، وأقلهم قام بعشرة عمرات فقط.. وحين ذكرت لهم الكلام المعتاد عن أفضلية توجيه نقود العمرة القادمة لعمل الخير أو مساعدة محتاج أو التبرع لمستشفى، هبوا فىّ جميعاً، واتهمونى بأننى عميل للسلطة ، ومن الأبواق التى تردد هذا الكلام الفارغ وتريد أن تحرم الناس من زيارة الأماكن المقدسة، لتوفير العملة الصعبة، حتى يتمكنوا فيما بعد من سرقتها وتحويلها إلى البنوك السويسرية.

ولأننى ليس لى حساب فى أى بنك سويسرى، ولا أعرف أحداً فى السلطة ، فقد دافعت بشدة عن موقفى، واضطررت تحت وطأة الإحساس بالظلم والاستفزاز أن أواجههم بأشياء أخرى، لم أكن

أنـوى الخوض فيهـا من أجل اعتبـارات القرابة.. لكن البـادى أظلم.. ولأننى عشـت سنوات فى السـعودية، اختزنت فيها الكثير من الصور الكاريكاتيريـة عن سـلوكيات المصريين فى الأراضى المقدسـة.. فقد أحببـت أن أطلعهم على بعـض ما رأيت من مواقـف تدخل فى نطاق المضحكات المبكيات..

وحكيـت لهـم أننى تدخلـت ذات مرة لفـض خناقة بيـن معتمرين مصريين أمام الحرم بسـبب "بطانية" مورا إسـبانى، أصر الأول أن "ينكت" المملكة مدينة مدينة وشـارع شـارع حتى يعثر عليها، وأراد الثانـى إقناعه بـأن البطانيات الكورى، خصوصاً التسـعة كيلو أفضل وأرخص.. لكن هيهات.. وسـألت أقربائى المعتمرين المتنافسـين عن السـر فى إصرارنـا كمصرييـن على اصطحـاب "البطانيـات" من السعودية، رغم شـهرتنا العالمية بصناعة الغزل والنسيج.. ثم تذكرت أن "الألحفـة" الماليزى والكورى والصينى المحشـوة بالإسـفنج هى الموضة فى السـنوات الأخيرة فبلعت لسـانى وسـكت قليـلاً، لأعاود الهجوم بنفس المنطق، من خلال التركيز على الهوس المصرى بشراء ملابس وبطاطين وفسـاتين وسـبح وطواقى شـبيكة وسجاجيد صلاة، وأحياناً مكانس وكاميرات فيديو وموبايلات.. وقل ما تشـاء عما يحمله المعتمر خلال عودته من الأراضى المقدسـة لأهله وأصدقائه ولنفسـه بالطبع، لدرجة أن الأمر تحول عند البعض إلى تجارة.

وبعـد بـوار المنطقة الحرة فى بورسـعيد، أصبح البعض يتسـوق بضائعه فى موسم العمرة.. وحتى يكون كلامى مقنعاً ذكرت لهم أسماء

يعرفونهـا جيداً لجيران ومعارف لنا يسـافرون سـنوياً لهذا الغرض، للتجـارة وليـس لأداء الفريضة وكان هذا هو مربـط الفرس، الجهل يا عزيـزى، والتدين المصـرى اللذيذ، فأنا أعرف بعـض الناس يؤدون العمرة كل سـنة ولا يصلون ورأيت بنفسى آخرين يتبادلون الأحاديث التافهة وهم يسـعون بين الصفا والمروة، وكثير منهم لا يعرف مغزى المناسك، أو لماذا يفعل ذلك؟ ولماذا يقول ذاك؟ وما هى الحكمة الدينية من أداء تلك الطقوس؟

أمـا حجة التدين بالفطرة والإيمان الذى هو فى القلب، والنوايا التى هـى أفضل مـن العلم، فلا محل لهـا من الإعراب فـى عصر الراديو والتليفزيون ودروس المساجد وأشرطة الكاسيت، التى تشرح لمن يهتم أو يريد أن يكون متديناً حقيقياً، أو يعرف أبسط وأهم قواعد أداء مناسك الحج أو العمرة، لكن الحقيقة غير ذلك، وليست هناك إحصاءات دقيقة أو دراسـات مفصلة عن نسبة من يولون وجههم شطر المسجد الحرام بالفعـل وينـوون أداء فريضة الله، ولا يريدون التجـارة أو التظاهر أو التقليـد، أو شـراء الهدايا، أو إنفاق بعض المال، أو "الفسـحة"، لكنهم بالتأكيد نسبة ليست قليلة، وهؤلاء يجب أن يتحدث إليهم أحد، وأن يقول لهم إن العبرة ليست بعدد "العمرات"، ولكن بما يتقبل الله منها!.

مولد يا مصر!

تنتشر الموالد في جميع ربوع مصر المحروسة، ويتعامل ملايين المريدين مع هذه الظاهرة، ليس فقط باعتبارها مناسبات روحية لتذكر أولياء الله الصالحين التى تقام هذه الموالد لإحياء ذكراهم، ولكن باعتبارها فرصة للترويح عن النفس، وكسر روتين الحياة اليومية، والالتقاء بناس مختلفين، وممارسة طقوس الذكر والزار، الذى أطلق عليه البعض "الديسكو" الشعبى، حيث يتمايلون ويتراقصون على أصوات الدفوف والطبول، فى حركات هيستيرية، تحقق لهم نوعاً من الانسجام أو الخلاص أو التنويم المغناطيسى.. فضلاً عن استفادة آلاف التجار والباعة الصغار وعشرات المهن التى تنتعش فى أماكن إقامة هذه الموالد، وتمثل بيزنس بالملايين، ينعش الحالة الاقتصادية لقطاع كبير من المنسيين والمهمشين الذين ينتظرون هذه الموالد لتحقيق بعض الأرباح التى تعينهم على مواجهة أعباء الحياة فى أيام الركود والإفلاس..

وبعيداً عن نظرية المؤامرة التى تشكك فى سكوت الدولة عن كثير من الممارسات غير المشروعة خلال أيام الموالد، وانتشار اللصوص والمجرمين وتجار المخدرات والممنوعات، فضلاً عن الممارسات الأخلاقية غير المنضبطة تحت ستار هذه الموالد، وتشجيع الحكومات المتعاقبة لأنشطة الطرق الصوفية، باعتبارها نوعاً من تغييب الوعى

العـام وإلهـاء الناس عن مشـاكلهم الحقيقية، مدللين علـى ذلك (أقصد أصحاب نظرية المؤامرة) بالاهتمام الرسمى بالتدخل فى انتخابات شيخ مشـايخ الطرق الصوفية، وتأييد أحد طرفى الصراع على هذا الموقع، والدعـم الذى تقدمه الدولة لهذه الطرق.. لتأكيد نظريتهم، والتدليل على الرضا الرسمى عن استمرار الصوفية وطرقها وموالدها.

وبعيداً عن كل تلك الشكوك، فلابد من إعادة النظر فى هذه التجمعات العشـوائية والسـلوكيات الغريبـة التـى تتم من خلالهـا، ليس فقط من الناحية الدينية، والمعروف أن هناك قطاعا كبيرا من المتدينين يرفض هذه الموالد، ويتحفظ على كثير من الأفكار الصوفية، وخاصة ما يتعلق منها بالتقـرب بالأولياء، وزيارة الأضرحة، وجمـع الأموال وإضاءة الشـموع فى المقابر، والاختلاط بين الجنسين فى ليالى الموالد.. ولكن أيضاً من الناحية النفسية والاجتماعية.

والأمر يحتاج إلى دراسات جادة ومتعمقة لعقلية ونفسية المترددين على الموالد، وعلاقتهم بالمجتمع، ورؤيتهم للحياة، وموقفهم من السلطة، وقدرتهـم علـى التفاعل مع الأحداث والهموم العامـة.. وإذا تذكرنا أن عدد هؤلاء بالملايين، وأنهم يمثلون نسـبة كبيرة من الشعب المصرى، فسـنعرف إلى أى حد، يمكن أن تدلنا دراسـة سلوك هؤلاء الناس على طبيعـة قطاع كبير من المصرييـن وطريقة تفكيرهم ونظرتهم للحياة.. ومدى استعدادهم للتفاعل مع أحداث الوطن والرغبة فى التغيير!

الفصل الثاني

الحياة داخل الكرتونة

ضحايا الحياة المؤجلة!

المصـرى بطبعه وبحكـم تكوينه وتاريخه وجغرافيـة المكان الذى يعيش فيه لا يحب الهجرة ولا يطيق الغربة، ويعشـق الارتباط بالمكان والالتصاق بـه والحياة فى بيوت متراصة ومتلاصقة وشـوارع دافئة وضيقة، وهو كفراش المحكمة فى مسـرحية "شـاهد ما شافش حاجة" لعادل إمام يترك الشـقة كلها ويعيش فى غرفـة واحدة مع أمه وإخوته السـبعة وأولاده الثمانية.. ولولا التكدس السـكانى لما اضطر للخروج إلى المدن الجديدة وأطراف القاهرة.. ولما اضطر وهو المعجون دائما بالحنين للمكان إلى الهجرة أو قل السفر للعمل بالخارج.

فالمصـرى فـى الواقع لا يمكـن أن يهاجر بالمعنـى الحرفى للكلمة، وبالشـكل المعهود فـى العالم كله، ولا يمكن أن يقطـع صلته تماما بأهله وعشيرته وأصدقائه القدامى.. وهو حريص حتى وهو يعيش ويستقر فى الخارج على شراء قطعة أرض أو شقة أو شاليه فيس أى بقعة من بلده.. وقد يغلقها بالسـنوات الطوال، لكنه يعرف فى قرارة نفسه، أنه سيعود لا محالة، مهما طالت به سنوات الاغتراب أو الإقامة خارج الحدود.

والمصـرى فـى الخـارج له سـمات وعـادات وطقـوس تختلف باختـلاف البلـد الذى يقيم فيه.. فالمصريون فـى الخليج يختلفون عن المصريين الذين يهاجرون أو يعيشون فى أمريكا أو كندا أو أوروبا..

فالمصـرى فى الخليج هدفه الأول والأخير هـو جمع المال.. وثقافته استهلاكية بحتة.

وسـتصاب بدرجة عالية من الدهشة إذا قمت بزيارة مصرى قريب أو صديـق لـك، ويعيش فى إحدى دول الخليج فـى منزله فى ذلك البلد ورأيت بنفسـك كـم "الكراتين" التى يختزنها فى بيته، تحت السـرير، أو فـوق الدولاب، بل وفى كل ركن من أركان شـقته.. ويحرص تمام الحرص على ألا يستعملها أو يستعمل شيئا منها، ومن مشترياته خلال سـنين الغربة، رغم أنها قد تطول لتشـمل أجمل سنوات العمر.. ويظل يحتفظ بكل ما هو جديد وغالى الثمن ورفيع الذوق لكى يسـتعمله حين يعود مرة أخـرى للحياة فى مصر.. ويعود أولاده وزوجته على ذلك.. فهـذا الطقم "البورسـلين" لن نفتحه إلا عندمـا نرجع إلى مصر، وهذا الفسـتان أو التايير أو العبـاءة أو البنطلون أو الحـذاء أو حتى الملاءة والبطانية، أكواب الشاى، أطقم القهوة ومفارش السفرة.. كلها محفوظة ومجمـدة ومكتوب عليها ممنـوع اللمس أو الاقتراب حتى تنتهى رحلة الشقاء فى الغربة.

والمصـرى فـى الخليج غير اللبنانى أو السـورى أو الفلسـطينى، فهـو يعيش عادة فى الأحياء الفقيرة أو علـى هوامش المدن، وبالقرب مـن الأماكن التى يسـكنها السـود من "البـدون هويـة" والمطاردون من شـرطة الجوازات، والبنجال والباكسـتانيون والهنود.. وفى شـقق محدودة الإيجار يفرشـونها غالبا بأثاث مستعمل من أسواق مخصصة لهـذا الغرض فى معظم المدن الخليجية، تعرف باسـم "الحراج" ولها

أسـماء أخـرى فى كل بلد خليجـى، حيث يأتى المغتربـون ويغادرون ويبيعون حاجياتهم وأشياءهم الثمين منها والبخس، ليستفيد منه وافدون آخرون جدد وهكذا..

وهذا بالتحديد هو الانطباع الأسوأ الذى يعرفه معظم الخليجيين عن المصريين، ولا يشاركهم فيه سوى السودانيين والصوماليين، وهذه هى الصـورة التقليدية التى انطبعـت فى أذهان الغالبية العظمى من العرب عنا من خلال مشـاهدة الأفلام والمسلسلات المصرية التى تشوه سمعة المصريين وتصورهم على أنهم نصابون ومحتالون ولصوص وتجار مخدرات وراقصات وسـاقطات وحشاشـون وكذابـون.. فالخليجيون ينظرون إلينا بريبة وشـك حتى يثبـت المصرى العكس، بعد أن يكون قـد تلقى من الإهانات الكثير، بسـبب الخبرة السـابقة فـى التعامل مع مصريين أسـاءوا لصورة المصرى، وخاصة طبقة الحرفيين من غير المتعلمين، وبسـبب ما تسرب للعقلية العربية عن الشعب المصرى من خلال الأفلام.

ولذلـك قد تفاجـأ كثيرا حين تعلم أن الخليجييـن يعطون المصريين رواتـب وأجورا متدنية بالمقارنة بأقرانهم من الشـوام، حتى ولو كانوا أقل كفاءة ودرجة علمية من المصريين.. وذلك لأننا لم نعتد على تقدير أنفسـنا حق قدرها، ولم نتعود على الاسـتمتاع بالحياة.. فالمصرى فى الخليـج حريص على ارتداء الملابـس الرخيصة، حتى ولو كان راتبه كبيـرا، وهـو يحتفظ بالملابـس الجيدة، حتى يرتديها لـدى عودته إلى مصـر، وكأن السـنوات التى يقضيها فى الخليج ليسـت محسـوبة من

عمره، والمصرى لا يسكن سوى فى الشقق رخيصة الإيجار وفى الأماكن الشعبية والعشوائية، طبعا باستثناء قلة قليلة من المصريين فى الخليج، يشذون عن تلك القاعدة، بعكس اللبنانى، أو السورى الذى يرتدى أحدث "الموضات" فى الأزياء، ويقود أفضل أنواع السيارات، ويجيد تسويق نفسه، ولا يحاول نيل رضا رؤسائه الخليجيين بالطعن فى أبناء جلدته، كما يفعل بعض المصريين فى الخليج.

وصحيح أن هذه القاعدة بدأت تنكسر مع ازدياد المهاجرين والمغتربين المصريين هربا من شبح البطالة والكساد والفساد، وخصوصا من بين الطبقات المتعلمة تعليما جيدا من أطباء ومهندسين ومدرسين، وغيرها من المهن، التى تفرض احترام أصحابها على الجميع، إلا أن كثيرا من سلوكيات المصريين فى الخارج لا تزال تحتاج إلى المكاشفة والمراجعة، وإعادة النظر والتفكير، حتى لا نهون على أنفسنا فنهون على الآخرين!.

حق العودة من الخليج

حصيلــة الغربة وردة عليك أن تعرف متــى تقطفها وترحل.. الفقر فــى الوطن غربة والفلوس فى الغربة وطن.. هكذا يتحدث المغتربون، بعضهم يقسم أنه لن يترك بلاد الخليج ومجتمع الوفرة حتى ينضب آخر بئــر بترول بها.. وبعضهم يكتفــى بتحقيق الهدف الذى ذهب إلى هناك مــن أجلــه، ويعود الى بلده ليســتأنف حياته من جديــد، وكثيرون منهم يتحججــون بالظروف الاقتصادية الصعبة فى مصر، وتفشــى الفســاد والمحســوبية والعشــوائية فى كل شــىء وعدم احتــرام القانون، ليظل يغتــرف من أموال النفط.. وبعضهم الآخر تحول إلى مجرد "حصالة" يطفح المر فى الغربة، ثم يرســل الفلوس إلــى زوجته وأولاده، ويعود كل ســنة ليقضى شــهراً معهم كالضيف، وكلما قال لهم، لقد آن الآوان لأعود، يقولون له.. ســنة كمان علشان الحياة صعبة والمعيشة غالية.. والولد يريد كذا والبنت لازم تتجوز..وسنة تجر سنة والعمر يضيع.

وعندما كنت أقضى فترة تجنيدى الإجبارية فى الخليج، أقصد عندما كنت أعمل وأعيش فى جدة، قال لى صديق مهندس تعرفت عليه هناك فــى بلاد الصوبات الزجاجية، حيــث يعيش الناس فى مناخ واحد "جو التكييف" 12 شهراً فى السنة، إنه يفضل الحياة فى السعودية عن العودة إلــى مصر، حتى لــو تحقق له المال الذى يكفيــه ويكفى أولاده ويؤمن

مستقبله، وأنه ظل يعمل سنوات طويلة فى بلده بما يرضى الله ولم يحقق سوى الفشل والإحساس بعدم الجدوى، فمعظم من تعامل معهم فى المشروع الذى وضع فيه ميراثه من أبيه ليبدأ به حياته، نصبوا عليه، ووجد نفسه فى النهاية مديوناً بمبالغ كبيرة لا يستطيع ردها، فكان قراره بالسفر.. وقال أيضا إنه يشعر فى الخليج بأنه ينجز ويحقق أشياء لم يكن سيحققها لو استمر فى العيش بمصر، وما يؤرقه فقط هو زوجته وأولاده الذين لم يستطع بسبب ظروف دراستهم اصطحابهم معه إلى هناك.. لكنه يعوض ذلك بكثرة النزول لرؤيتهم فى الإجازات، ويحرص على ألا تزيد فترة غيابه عنهم سوى شهور قليلة للغاية.

أما صديقى الآخر الذى سافر إلى الخليج بعد ما يعرف بمعركة تحرير الكويت بسنة واحدة، فقد كان يعتقد أن الغربة مثل الوردة يجب أن تعرف الوقت الملائم لاقتطافها ثم تعود نهائيا إلى بلدك، وهو قد اقترب كثيرا من قطف الوردة، بعد أكثر من ٢٠ عاما قضاها فى الغربة.. وتعهد بينه وبين نفسه، أن يقيم مباراة اعتزال -على حد تعبيره- ويعود إلى مصر العام القادم.. وهو يرفض بشدة ما يردده كثير من المصريين الذين يعيشون فى الخارج من أن الحياة فى مصر أصبحت مستحيلة، ويعتقد أن من يقول مثل هذا الكلام يحاول أن يبرر لنفسه رغبته فى جمع المزيد من الأموال.. وهو يعترف بأنه يعلم مسبقا أنه سيواجه متاعب كثيرة بعد العودة، لكنه يرى ذلك شيئا طبيعيا، ويؤكد أن الحياة فى الغربة ليست مفروشة هى الأخرى بالورود.. لكن المهم أن تعرف لماذا سافرت، وماذا تريد من هذه التجربة؟!

ومن فرط اقتناعه بضرورة العودة إلى مصر، مهما طالت سنوات الغربة، فقد كان يحذر كل مصرى جديد تطأ أقدامه أرض المملكة، ويقابله فى أى مكان من ''النداهة''، ويرى أن من يتخذ قرار السفر إلى الخارج لابد أن يحدد فى البداية الهدف من هذا السفر، ويضع لنفسه حداً معيناً سواء فى حجم المبلغ الذى يريد أن يجمعه ويعود، أو فى عدد السنوات التى يقضيها هناك، بغض النظر عما حققه أم لم يحققه فيها، أما أن يظل مغتربا هكذا بلا هدف، أو يسير وراء سراب الطموحات التى لا تنتهى، فهذه هى الخدعة التى يقع فيها كثيرون.. فبعد الشقة وفرشها، يأتى حلم الحصول على الشاليه، ثم ثمن ''العربية''، ثم المبلغ فى البنك الذى سيؤمن له الحياة بعد العودة.. وهكذا كلما أراد أن يعود، يجد ألف مبرر ومبرر للبقاء.. ويظل يدور فى حلقة مفرغة، حتى يكتشف أن عمره ضاع فى الغربة، وأنه لم يستمتع بالثروة التى أفنى حياته لكى يحققها!.

ثقافة العبط والاستهبال

أكثر ما يستفزنى فى كلام العائدين من أوروبا وأمريكا والدول المتقدمة هو عقد المقارنات بيننا وبينهم، وتسميم أبداننا بالحديث عن نظافة شوارعهم وسيولة مرورهم، وتحضر سلوكهم، وتفوقهم وتقدمهم أمام خيبتنا الثقيلة وشوارعنا ''المهربدة'' وأخلاقنا ''السوفاج'' وفسادنا وتخلفنا، وكأن من يتحدث لم يعد منا، أو كأنه أصبح منهم لمجرد أنه عاش طويلاً أو قليلاً بينهم.. أو كأنه يعايرنا بفقرنا وجهلنا وهواننا على أنفسنا وعلى الناس.. أو كأنه من طينة وعجينة أخرى غيرنا.

ويستفزنى أكثر حين يكون هذا الشخص المتحاذق هو نفسه أحد الأدلة على غياب الإنصاف والعدالة فى بلدنا، كأن يكون النقيب خاله، وهو الذى أتاح له هذه السفرية فى بعثة دراسية أو منحة حكومية، أو حقيبة دبلوماسية.. ويستفزنى أكثر وأكثر حين يكون هذا المتحدث عن حلاوة بلادهم وقذارة بلادنا أحد المسئولين فى الحكومة، ولا تتعجبوا، فهذا يحدث أحياناً، وقد شاهدت بنفسى منذ أيام فى أحد برامج ''التوك شو'' مسئولاً كبيراً بوزارة السياحة وهو يبدى اندهاشه من قلة عدد السياح إلى مصر بكل إمكاناتها السياحية وتاريخها وآثارها وشمسها ونيلها، حتى قبل ثورتي 25 يناير و30 يونيو، أمام دولة مثل أسبانيا يبلغ عدد زوارها الأجانب سنويا ما يقرب من عدد السكان، وقال إن

دخلهـا من السـياحة يكفيها ويزيد، وإن كل سـائح ينفـق على مواطن أسـبانى.. وتسـاءل فـى نهاية كلامه.. فهـل هم يصنعون من الفسـيخ شربات، ونحن نصنع من الشربات فسيخاً ؟!.

خـد بالـك.. هو الذى يتسـاءل وهـو المسـئول الكبير فـى وزارة السياحة، وطبعاً لم أعرف لمن يوجه هذا السؤال.. وهل المطلوب منى أنا كمشـاهد أو كمواطن أن أجيبه، وهو المسـئول السياحى عن أسباب قلة عدد السـياح إلى بلدنا بالمقارنة بدولة مثل أسبانيا أو تركيا أو حتى إسرائيل.

وبصراحـة فهـذا هو قمة الاسـتعباط أو التغابـى، والحقيقة أن هذا السـلوك "الاستهبالى" تحول إلى موضة فى الفترة الأخيرة، حيث تجد مسئولا كبيرا آخر فى الدولة يشكو من تفشي الفساد فى كافة القطاعات الحكوميـة ، وكأننا نحن وليسـوا هم، المسـئولون عن هذا الفسـاد، أو تسـمع وزيـراً يعترف بأن الرشـوة هى سـيدة الأخلاق فـى المصالح الحكوميـة، أو موظفـا كبيرا فى وزارة الصحـة يصرح للصحف بأنه لا مواصفات قياسـية فى أى مستلزمات طبية ترد إلى الوزارة وتسمح بطرحها فى الأسـواق، أو تنشـر جريدة خاصة أو موقع اليكتروني أن هذا الموظف الكبير فاسد فلا تحقق أى جهة فى الموضوع، ولا يحاسب أحد الصحفى الذى اتهمه إذا ثبت أنه كاذب، ولا يحاسـب أحد المسئول إذا تبين أنه فاسد، فالحكومة تفعل ماتريد والناس تقول ما تريد، وهكذا يختلط الحابل بالنابل ويدخل "أبو قرش على أبو قرشين" ويتوه الناس، فالشعب لايصدق الحكومة، والمسـئولون لا يعيرون اهتماماً للشعب..

ومن يفتح عليه الله بالسـفر إلى الخارج سـواء إلى دولة عربية أو إلى أوروبا والـدول المتقدمة يعود ليتغنى بالنظافة التى يعيش فيها ويتأفف من الحالة التى نعيش فيها !!.

الوطن الافتراضي

يقـال إن وزير الشـباب والرياضة في السـنوات الأخيرة من عهد الرئيـس المخلـوع مبـارك، كان يلجـأ إلى المسـئولين عـن الجامعة الأمريكيـة بالقاهـرة لينتقوا لـه عددا من طلابهـا وطالباتها ليحضروا المباريات ويشـجعوا المنتخـب الوطني لكرة القـدم، حاملين الأعلام وراسـمين ألوانه الثلاثة على وجوههم، حتى يعكسـوا صورة مشرفة لمصر، وعنواناً لشعبها الجميل المرفه "الهاى كلاس".

وهذا بالضبط هو الشعب الذى كان يريده مبارك ونجله وشلة المنتفعين بعصره ويعملون من أجله المشـروعات وينشـئون الكبارى ويرصفون الطـرق وينفقون الغالى والنفيس من أجل حمايته وحراسـته وعزله عن الغوغاء فى منتجعات سـكنية على أطـراف القاهرة، وعلى طول طريق مصر الإسكندرية الصحراوى والساحل الشمالى وجنوب سيناء.

وهذه هى الحدود الجغرافية التى كانت"ولا تزال" حتى بعد ثورتي 25 يناير و30 يونيو تشـكل لهذا الشـعب وطناً افتراضياً أطلقوا عليه- مجازاً- لفظ مصر، فى حين أنه يعنى دولة أخرى تماماً لاعلاقة لنا بها ولا علاقة لها بنا.

دولة هؤلاء المواطنين الافتراضيين الذين قد تقع عليهم عيناك وأنت تركب الميكروباص أو تقود سيارتك ''المتهالكة'' وتحدق إليهم بنظرات الدهشة والانبهار دون أن يلتفتوا إليك أو يحسوا حتى بوجودك.

وقد أتاح لى عملى كصحفى يُسمح له بالاختلاط بكافة الشعوب المصرية الشقيقة – بما فيها شعب الكنيسة – أن التقى بنماذج من أصحاب الوطن الافتراضى، فوجدتهم يتحدثون العامية المصرية بلكنة أجنبية، ويخلطونها بألفاظ وجمل إنجليزية كاملة من باب التوضيح وسرعة التعبير عن الأفكار وليس من باب الفذلكة أو الحذلقة، كما يفعل أبناء شعوب مصرية أخرى أقل فى المكانة والمرتبة الاجتماعية.

وفوجئت بأنهم يشكون أيضا من عدة أشياء تتركز غالبا حول ازدحام المرور، وانعدام النظافة فى كثير من الأحياء والشوارع التى يضطرون إلى المرور بها فى طريق ذهابهم من وإلى منتجعاتهم السكنية المعزولة.. ويشكون أيضا من مستوى بعض المذيعين والمذيعات ''السوفاج'' الذين يقدمون برامج ''التوك شو'' التى يعتمدون عليها اعتمادا كليا فى معرفة أحوال الوطن الآخر الذى هو بالصدفة أيضا وطن افتراضى.

فالحقيقة أن ما اصطلح على تسميته بدولة مصر، ليس دولة واحدة ولكن مجموعة دويلات يجمع أبناءها حدود جغرافية واحدة، وأحيانا هموم واهتمامات مشتركة وهم يقتربون من بعضهم البعض بشدة فى أوقات الأزمات والأحداث الكبرى، لكنهم سرعان ما يعودون مرة أخرى إلى الواقع الأليم الذى فرضه حكم ظالم استمر عقودا

طويلــة صنــف خلالها الناس إلــى طبقات اجتماعية وسياســية وظل يزيــد الفــوارق بينها، وترك لنا ميراثا ثقيلا من الإحســاس بالتهميش وضيــق الأفــق والأنانية المفرطة واســتهلاك الطاقــة فى صراعات ســطحية وتحيزات تافهــة لفريق كرة قدم أو مطــرب عديم الموهبة، والانشغال بمطالب فئوية محدودة عن صناعة مستقبل لوطن يمكن أن يتسع للجميع بشرط أن يتم استعادته من أيدى من اختطفوه واحتكروا خيراته وتناوبوا على اغتصابه.

ويجب أن نتخلص من هذا الميراث الســيئ ونعود مرة أخرى وطنا واحدا وحقيقيا وليس مجرد مجموعة من الأوطان الافتراضية يســكنها شــعب يحمل أبنــاؤه نفس الجنســية، ولكنه مختلــف كل الاختلاف فى الاهتمامات والتوجهات ودرجة الوعى والقدرة على الفهم والاستيعاب والتمييز بين ما هو أصيل ومخلص وما هو وافد ومزيف ومصطنع.

ولا يمكن أن يستعيد سكان مصر الأصليين وطنهم الحقيقى، إلا بعد أن نقلــص تلك الفوارق الطبقية الرهيبة ونحقق الشــعارات التى قامت مــن أجلها ثــورة ٢٥ يناير وهى العدل والحريــة والعدالة الاجتماعية، والحقيقة أنه لا شىء قد تحقق منها حتى الآن!

دعوة للتطبيع مع العرب!

عملت لسنوات فى إحدى الصحف الخليجية .. واكتشفت هناك فجوة لم أكن أتوقعها بين الإخوة الأعداء العرب .. ولمست مدى الهوة الشاسعة بين ما نقوله فى أغانينا من أمجاد ياعرب أمجاد ، وحتى أوبريت الحلم العربى ، وما نشعر به فعليا ونخفيه من مشاعر وأفكار عن بعضنا البعض ..والحقيقة أن بعض تصرفات وتصريحات قيادات من جماعة " حماس" ، قد أصابت نفسية المصرى بشبه انفصام وأوقعته فى شعور متباين ومتناقض بين التعاطف الطبيعى والتاريخى مع أهلنا الفلسطينيين المعذبين ، وبين الإحساس بالخطر من علاقة "حماس" بجماعة الإخوان الإرهابية ودورها في تنفيذ مخططتها لتهديد أمن مصر والمصريين.

وقد أعادنى هذا الشعور بالخوف على الفلسطينيين والخوف منهم فى نفس الوقت ، إلى ذكرى أخرى مؤلمة عن حرب الخليج الأولى ، وضرب العراق ، فقد كنا جميعا متعاطفين مع الأشقاء العراقيين ضد ضربات قوات التحالف لهم ، لكننا أيضا كنا مؤمنين بخطيئة غزو صدام للكويت وضرورة تحريرها ، ومن يومها والمشاعر المتناقضة لا تنتهى سواء فى العراق أو لبنان أو فلسطين ، وقد تكررت هذه الحالات الشعورية التى أجزم أنها أصابت الأمة العربية كلها بنوع من

"الخبال " السياسـى أو الشـيزوفرينيا الواضحة ، فى حالات وحروب أخرى شـهدتها منطقتنـا المنكوبة والموعـودة بالمؤامرات والحروب والنزاعات، وخاصة بعد ما يعرف بثورات الربيع العربي!.

ولـولا الموقف النبيل من معظم زعماء دول الخليج مع مصر عقب ثورة ٣٠ يونيو التي أطاحت بحكم الإخوان الإرهابيين، ودعمهم الدائم لنـا في طريقنا لبناء مصر الجديدة، رغم محاولات الحاقدين والطابور الخامس للوقيعة بيننا وبين إخواننا وأشقائنا في الخليج بترويج الشائعات المغرضـة والتصريحـات المغلوطة والتحليلات السياسـية الموجهة، لقلت إنه لا فائدة في تضامن عربي حقيقي للوقوف صفاً واحداً ضد ما يواجهنا جميعاً من أخطار تهدد حاضرنا ومستقبلنا.

ومـن مقتضيـات العقل والحكمة أن لا نغـض الطرف عن ميراث الشـك وعدم الثقة ، ونعترف بأن هناك "دمامل " خبيئة تحت سـطح المشـاعر العربيـة لابد مـن فتحها وتنظيفهـا من الأفـكار المغلوطة والـرؤى الجاهلة .. ولابـد من المصارحة والمكاشـفة .. إذا كنا نريد فعلا أن نعود أمة واحدة ولو معنويا ونفسيا .. ولابد من الدعوة للتطبيع بين العرب أنفسهم قبل أن نتحدث عن التطبيع مع أعدائنا التقليديين أو الحوار مع الغرب.

الفصل الثالث

المصريون.. شعب الله "المختار"

بلد مهرجانات صحيح!

لأننا شعب فرحان على طول، ومبتهج دائماً.. ولأننا أصبحنا نتعامل مع مشاكلنا الحقيقية من أمية وبطالة وفساد وفقر على أنها قضايا مزمنة وبلا حل، رغم كثرة الكلام فيها والحديث عنها، لذلك فقد أصبحنا ملوك العالم فى المهرجانات والتظاهرات والاحتفالات بلا منافس أو منازع، ننفق عليها ببذخ ونقيم لها الليالى الساهرة فى كبريات الفنادق والقاعات، ونستضيف لها المدعوين والمشاركين من كل صوب وحدب، ولا نبخل عليها أو عليهم بشىء من دخلنا المحدود وميزانياتنا المرهقة بالعجز والديون.. لكن كل شىء يهون من أجل الريادة والسيادة.. وهل "لمة" الفضائيات والوكالات والعدسات علينا بالشىء الهين؟.. لا وألف لا.. وما يحتاجه "الشو" الإعلامى و"المنظرة" الدولية، و"الفشخرة" العربية يحرم على الجامع والمدرسة.. ويعنى هيه شوية الملايين التى ننفقها على مهرجانات الفن ودورات الرياضة هى التى ستزيد من فقرنا وتعمق من تخلفنا.. يا عالم بلاش تهويل.. وكفاية قر يا ناس يا شر، ولعن الله حزب أعداء النجاح الذين "يزنون" علينا بأحاديث الترشيد ومد اللحاف على قدر الأقدام.. فنحن هوليوود الشرق وقبلة الراغبين فى الاغتراف من "أنجر" الشهرة والفلوس من المحيط إلى الخليج.. وبالعند فيهم، وفيمن يحذو حذوهم من الحاسدين والحاقدين.

وبـدأ انفجـار ماسـورة المهرجانـات هـذا الصيـف بمهرجـان الإسـكندرية السـينمائى، وبعد رمضـان لدينا ثلاثـة مهرجانات فنية أخرى فـى الطريق، وهـى بالتقاطـع والتوازى، مهرجـان الإعلام العربى، ومهرجـان القاهرة السـينمائى الدولى، ومهرجان السـينما المستقلة.. لأ وإيه.. بعد أيام قليلة من ختام مهرجان الموسيقى العربية، وأيام أكثر شوية من انتهاء مهرجان الفيديو كليب، ومهرجان المسرح التجريبى.. وطبعاً لا ننسى فى خضم ذلك مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية بكل ما يصاحبه من دعاية وصواريخ وألعاب نارية، ورقص وطبل وزمر وغناء واستعراضات.

واللى مش عاجبه، يبحث عن مهرجانات أخرى شعبية لا تنقطع فى صورة موالد تنتشـر من بحرى إلى الصعيد، وتشهد هى الأخرى حالة شـبيهة من غياب الوعى، وتغييب العقل، والترويح عن النفس بمسرح الأراجـوز، ودوائر الذكر، وحلقات الزار، وملاهـى الفقراء الباحثين عن الصخب والضجيج فى ''ديسـكوهات'' شـعبية تختلف فى الشـكل وتتفق فى الفكرة والمضمون مع تركيبة شـعب مغرم بالهرج والمرج، مجبول على النشـوة بالضجيج والصخب والصوت العالى والموسيقى الزاعقة، ومعتاد على الاحتفال بمناسـبة وبدون مناسـبة من ''سبوع'' المولـود وطهور ''الـواد'' و''حنة'' البنت، وزفة العريس، مهما شـح الرزق، وقصرت ذات اليد.. فالجودة بالموجود.

والمهـم أن نصفـق ونغنـى ونرقـص ونلتقـط الصـور ونسـتقبل ''المعازيم'' فالنـاس على دين ملوكهم. والملوك ملوا الحديث عن ربط

الحزام، وسياسات التقشف، وهموم السياسة، ووجع الدماغ، ويريدون أن يفرحوا هم أيضا بالشعب ومع الشعب.. وإذا كانت الأمم الراقية تضحك علينا وعلى عجزنا عن النمو والنهوض فى عالم لا يرحم اللاهين ولا يعترف بالكسالى المغيبين، فلا أقل من أن نثبت لهم أننا أجدع ناس بل وأجدع منهم، ونعرض أفلامهم ونستضيف نجومهم ونمنحهم الجوائز والنياشين، ونكتفى نحن بمسابقة فرعية على الهامش ننافس فيها أنفسنا لأننا لا نرقى لمنافستهم، ولا نقدر على التبارى معهم.. ويصعد الوزير على خشبة مسرح الأوبرا ليبتسم للعدسات، ويصافح النجوم والمكرمين ويعلن نهاية المولد السينمائى ليبدأ مولد آخر.. وكل عام وأنتم بخير!

غاز الفساد!

أزمــة أنابيــب الغاز تفجــر من جديــد قضية الدعم الــذى لا يذهب لمســتحقيه، والأمــوال الطائلة التى تتكبدها الدولة للحفاظ على أســعار السلع الرئيسية فى مستوى أصحاب الدخل المحدود، فتتسرب إلى تجار الســوق الســوداء، وشــلل المنتفعين ومصاصى دماء الغلابة وثروات الوطــن.. والملف الذى نفتحــه ونغلقه كل عدة ســنوات دون أن نصل فيــه إلى حــل أو قرار، لا يزال يخرج لنا لســانه، ويظهر مدى عجزنا شعبا وحكومة وإعلاما ومثقفين وأكاديميين وخبراء وناشطين سياسيين عــن تقرير مصيرنا وتســيير أمورنا والتوصل إلى حل عادل وشــامل لأهم وأخطر مشكلاتنا وسبب بلاوينا والسر فى تخلفنا وفقرنا ومعاناتنا وهواننا على أنفسنا وعلى الناس، وأقصد طبعا الفساد، هذا الغول الذى يــأكل خيرنا أو يعطيه لغيرنا أو يمنحه لفئة محدودة ومســتغلة منا دونا وغصبا عنا .

الفســاد الــذى ما يزال – بعــد ثورتين ومئــات الشــهداء- يعم البر والبحر ويستشــري فى الجو، ويتحول إلى أخطبوط ووحش مخيف لا نعرف له رأســا من قدم، ولا أول من آخر، الفساد الذى يتسع ويتضخم ويتوغل وينتشــر وينخر فى عظامنا ويهدد مستقبلنا ومستقبل أولادنا .. الفساد الذى هو عنوان هذه الأزمة، وأى أزمة أخرى، بداية من الغذاء

المسـرطن، والمـاء الملوث، والدم الفاسـد، والأبنية الهشـة، و القوت المسـروق، والتعليم المنهار، والإعلام المزيف، والصحف المدلسـة، والضمائر المدنسـة .. الفساد وليس الفقر أو ضعف الموارد أو الأزمة العالمية أو المؤامرات الدولية أو العدو القريب والبعيد هو سبب كل ما نحن فيه من إحساس بالقهر والذل والاحباط والانسحاق أمام الآخر أياً ما كان قدره أو جنسـيته .. الفسـاد هو الذى يجعلنا لا نثق فى الحكومة حين تقول لنا إنها سـتجعل الدعم نقديا حتى يصل إلى مستحقيه، الفساد هـو الـذى يجعلنا لا نعبأ باسـتخراج بطاقات انتخابية ولا نشـارك فى الانتخابـات لأننا نعرف أنها سـتكون بالضـرورة صورية ولن ينجح بهـا سـوى المنتفعون ونفس الوجـوه القديمة الكريهـة المكررة أو من يستنسخونها منهم.

والفسـاد هو الذى يجعلنا نشك فى أى نصر أو إنجاز حتى ولو كان فى مهرجان فنى أو مباراة لكرة القدم .. والفساد هو الذى جعلنا نتسابق جميعـا فى رقصـة أنانية جماعيـة، لنحصل على قطعة مـن " تورتة " الاسـتثناءات والامتيـازات، أو حفنة من المال السـايب، وجعل كل مصرى يضع يده فى جيب الآخر حتى يسـتطيع أن يبقى ويعيش بالحد الأدنى أو الأقصى، المهم أن يعيش ويعول أسـرته، ولو على حسـاب الوطن أو المبادئ أو حتى الدين، فالدين عندنا فى المسـاجد فقط، وفى الحج والعمرة و" السبحة "، ولا علاقة له بالمعاملة أو بالواقع.

ولا تعـارض إطلاقا عنـد الكثيرين بين أن تكون مرتشـياً أو كاذبا أو منافقـا أو فهلويا أو قليل الذمة، وبين أن تكون متدينا والمهم الشـكل

والطقوس وكلام الناس، والتطلعات زادت والطمع أصبح سيد الموقف، والأوراق اختلطت، والحلال لم يعد بينا والحرام كذلك، والسبب الفساد وصوره وأشكاله وأنماطه وشخوصه الذين يطاردوننا فى كل مكان ويغروننا بأن نفسد ونظلم ونسحق قبل أن نداس ونُظلم وننسحق .. ولا أمل فى هذا البلد ولامستقبل لنا ولا له، إلا إذا قررنا فى صحوة ضمير جماعية أن نقضى على الفساد ورموزه ودوائره قبل أن يقضوا علينا !.

سرقة الأطباء

الصين تجذب الطلاب من جميع أنحاء العالم ليدرسوا بها، بشرط أن يعملوا ويعيشوا هناك لعدد محدد من السنوات، حتى يفيدوا البلد الذى تعلموا فيه بعلمهم وأبحاثهم، ثم من حقهم بعد ذلك أن يعودوا إلى بلدهم، بعد أن يكونوا قد سددوا ما عليهم من دين علمى ومعنوى.. أما نحن فنفرغ بلدنا عامدين متعمدين من العلماء والكفاءات، ونضيق عليهم الخناق حتى يهربوا بجلودهم وعقولهم وعلمهم الذى أنفقنا عليهم الملايين ليحصلوه.

وهاهو تقرير مراسل جريدة "لوس أنجلوس تايمز" بالقاهرة يكشف جانبا آخر من هذه الحقيقة المفزعة، وهى تفريغ مصر من الأطباء الأكفاء، والسماح بخروجهم للعمل فى مستشفيات الخليج، فى نفس الوقت الذى تتجه فيه الدولة لتقليص عدد الطلاب فى كليات الطب بالجامعات المصرية، وهى الخطة التى بدأت بالفعل منذ سنوات برفع المجاميع المؤهلة للالتحاق بكليات الطب فى تنسيق الثانوية العامة.

ويحذر التقرير من خطورة هروب الأطباء من مصر، ويقول إن الهروب الجماعى للأطباء المصريين للعمل فى دول الخليج، يمثل خطورة كبيرة على مستوى الرعاية الصحية فى مصر، خاصة وأن المتجهين للعمل بالمستشفيات والمستوصفات الخليجية، يكونون عادة

من الأطباء المهرة والحاصلين على شـهادات الدكتوراه والماجسـتير المشـهود لهم بالكفاءة، وأصحاب الخبرة الكبيرة، وهم يفضلون العمل بالخليج نظرا للإغراءات المادية، فيما لا يبقى فى مصر سوى الأطباء المبتدئين وحديثى التخرج، الذين يعانون عادة من نقص الخبرة!.

ويؤكد أن اسـتمرار هذه الظاهرة خلال الفترة القادمة يهدد بحدوث فراغ طبى فى مصر خلال السـنوات العشـر أو الخمس عشرة المقبلة على أقصـى تقدير، تعانى فيها الجامعـات المصرية من ندرة الأطباء الجيدين، وعدم وجود كوادر طبية ذات خبرة تسـتطيع تدريب الأطباء حديثى التخرج.

والغريب أنه فى ظل الإقبال الشـديد من دول الخليج على اسـتقدام الأطباء المصريين بسـبب سمعتهم الجيدة فى الخليج، لدرجة أن معظم من يعملون فى مستشفيات هذه الدول هم من المصريين، يليهم الجنسيات الأخـرى، ومع ذلك تسـعى الدولة ونقابة الأطبـاء لتقليص عدد طلاب كليـات الطب، بحجة نقـص الإمكانات، وعدم وجـود أماكن ومعامل كافية لهم، فى حين لو نظرت الحكومة إلى الموضوع نظرة مسـتقبلية واسـتثمارية، سـتجد أن الكوادر المصرية المدربة هـى الدجاجة التى يمكن أن تبيض لها الذهب وتساهم فى توفير السيولة المالية للدولة من خلال زيادة تحويلات العاملين بالخليج، بشـرط أن تقنن الدولة عمليات سفرهم، وتشرف على العقود الموقعة معهم، وتحمى حقوقهم، وهو مع الأسـف ما لا يحـدث، لا نعرف لماذا، وإذا سـألنا أو على الأقل أبدينا دهشتنا يقولون أنتم من أنصار نظرية المؤامرة!.

ومـع ذلك فنحن نسـأل وزيـر الصحة ونقيـب الأطبـاء.. إذا كان هذا التقرير وعشـرات من التقارير والدراسـات الأخـرى التى قامت بهـا جهات مصرية وأجنبية تحذر من هـروب الكفاءات العلمية للعمل بالخـارج، فلمـاذا لا نضع تشـريعا يرتب وينظم هذه المسـألة حتى لا تخـل بالتوازن الطبى فى مصر من جانب، وحتى نحمى حقوق هؤلاء الأطبـاء مـن جانب آخر؟.. أم أن هناك أشـياء لا نعلمها هى التى تمنع ذلك..عموما لعل المانع خير!.

إسرائيل بيتنا.. أيضًا!

قبل نكسة 67، كنا ننظر إلى إسرائيل على أنها حشرة سندوسها بأقدامنا، قبل أن نلقى بها فى البحر، كما قال جمال عبد الناصر.. وبعد الهزيمة أفقنا على مأساة جهلنا بإمكانات هذا العدو وقوته وجبروته وطبيعة علاقاته بالقوى العظمى.. فكانت دعوة المفكر والكاتب الصحفى الراحل أحمد بهاء الدين "اعرف عدوك"، وكتابه المهم عن إسرائيل من الداخل وعلاقاتها بالخارج هى بوابة الدخول إلى عقلية الصهاينة، ومحاولة فهم كيف يفكرون، وإلى ماذا يهدفون ويخططون.

وبعد بهاء، جاء أستاذ الشئون العبرية إبراهيم البحراوى ليطلق دعوة مماثلة للغوص فى العقلية اليهودية ومعرفة تفاصيل دقيقة عن العدو الذى نواجهه .. وأصبح له صفحة ثابتة فى جريدة الأخبار تحت هذا العنوان "اعرف عدوك".. ثم جاء نصر أكتوبر 73 ليؤكد استفادتنا الكبيرة، لأول مرة خلال الصراع العربى الإسرائيلى الطويل من هذا التوجه، لدراسة عقلية وسيكولوجية اليهود والصهاينة، ومعرفة عاداتهم وممارساتهم الحياتية، والاستفادة من ذلك فى خداعهم ومفاجآتهم بالهجوم عليهم فى "يوم الغفران". وبعدها سنوات قليلة تحول العدو فجأة إلى جار، وأحيانا صديق وشريك فى عمليات التنمية، وأصبح الخبراء الإسرائيليون يأتون إلى مصر ليعلمونا فنون الزراعة التى

علمهـا أجدادنـا للعالم، ثـم أصبحت مواقفنا فى كثير من القضايا شـبه واحدة ومصالحنا متقاربة وأعداؤنا أيضا مشتركون!.

وظلت الصحافة العربية منذ النكسـة وحتـى الآن تهتم بتغطية أهم الاحداث السياسـية هناك، وخصوصا الانتخابـات، وانضم التليفزيون بقنواتـه الرسـمية والفضائيـة الخاصة إلـى زفة الاهتمـام الإعلامى المكثف بتغطية صراعات الأحزاب الإسرائيلية وفضائح قادة إسرائيل، والتربيطات الانتخابية ولعبة الشد والجذب بين أحزاب اليسار واليمين والوسط، وفاق الاهتمام العربى بالشئون الإسرائيلية، حتى الانتخابات الأمريكيـة، التى اعتدنا أن نتابع أخبارها قبلها بشـهور طويلة، وكأنها تخصنا أو تجرى فى بلادنا.. ولعبت وكالات الأنباء الأجنبية التى ننقل عنها أخبارنا وتغطياتنا الصحفية دورا كبيرا فى إجبارنا على استهلاك هذه المواد الصحفية والتركيز عليها رغما عن أنوفنا، فليس لدينا شـيئا بديلا نقدمه للقارئ، ولا شبكة مراسلين واسعة لنا فى كل مكان، وليست لدينـا انتخابات حقيقية أو صراعات بالمعنى السياسـى المعروف حتى نهتم بها ونغطى أخبارها.. ومن هنا جاء اهتمامنا القسـرى بالانتخابات الإسـرائيلية وصراع اليمين واليسـار وليكود وكاديما وإسرائيل بيتنا.. وأصبحنا نعرف أدق التفاصيل عن هذه الأحزاب فى الوقت الذى يجهل فيه قطاع كبير منا أسـماء الأحزاب المصريـة التي تكاثرت بعد ثورة ٢٥ يناير ولم نعد نعرف لها اصلاً من فصل ، ولا نعرف منها سـوى ثلاثـة أو أربعة أحزاب علـى الأكثر، ومعظم معلوماتنـا عنها هى ما تنشره الصحف عن صراعات الكراسى فيها، والدعاوى القضائية التى تتداولها المحاكم لحسم النزاع على رئاسة هذا الحزب أو ذاك!.

والسـؤال الذى يفرض نفسـه الآن..هل اسـتفدنا شـيئا ملموسا من فـرط اهتمامنا المكثف وغير العادى بما يدور داخل إسـرائيل؟!..وهل تطورت وتغيرت العقلية العربية بفضل تلك المعلومات؟.. وهل أصبحنا أكثـر فهما وقدرة على التعامل مع قادة إسـرائيل على مختلف أطيافهم السياسـية وخلفياتهـم الثقافية ؟.. وهل نسـتفيد فعلا من نشـر وترجمة السيل الجارف من الأخبار والتقارير عن المجتمع الإسرائيلى..أشك؟!

العملية نجحت والشعب مات!

النكتــة الشــهيرة عن الطبيب الذى اضطــر للتضحية بالأم والجنين من أجل نجاح العملية تنطبــق تمام الانطباق على الحكومات المتعاقبة قبل وبعد الثورة في مصر، فمعدل التنمية ارتفع لكن الفقر زاد ، ومناخ الاســتثمار تحســن ، لكن طابــور العاطلين انضم إليــه زبائن جدد من ملايين الشــباب الذين يتخرجون من جامعات ومعاهد لا تعلم شــيئاً ولا يحتاجهم ســوق العمل المتعطش لتخصصات ومهارات أخرى لا يهتم بهــا تعليمنا العقيــم، والبنك الدولى يشــيد بالأداء الاقتصــادى وتغيير قوانين الضرائب وتســهيل اجراءات الجمارك ، لكن الحياة تتعقد أكثر وأكثر .

والشــباب ما يــزال يفضل، بعــد ثورتيــن، الغرق أمام الســواحل الإيطاليــة واليونانية والتركية على الحياة فــى قرى مصرية ليس فيها فرص عمل ولا خدمات ولا وسائل ترفيه ولا شئ على الإطلاق سوى الأرض التى كره الفلاحون زراعتها ، لأن الدولة ترفض أن تشــترى المحصــول فى النهاية منهم ، أو تشــتريه برخــص التراب ، وتعطيهم القروض لشــراء التقاوى والسماد بفوائد مجحفة ثم تهددهم بالسجن إذا فسد المحصول وعجزوا عن الدفع .

وشباب المدينة ليسوا أفضل حالا .. فالقاهرة أصبحت مدينة العذاب

، وأصبح حتى أهالى أقاليم مصر يفرون منها فرار السليم من الأجرب ، ويلعنون الظروف التى تجبرهم أحيانا على السفر إليها لقضاء بعض المصالح وتخليص الأوراق الروتينية فى دولة هى الأغبى على مستوى العالم من حيث قواعد البيروقراطية والروتين الجاثم على أنفاس أهلها منذ زمن طويل .

القاهـرة التى تكدسـت بالسـكان والزائرين وأصيـب فيها المرور بالاختنـاق ، وتحولت كل سـاعات الليل والنهار إلى سـاعات ذروة ، لافـرق بين رمضـان والأعياد والأجازات واى يـوم عادى ..فالطرق كلهـا مزدحمة ، والإشـارات غائبـة أو مغيبة .. والمشـوار الذى من المفترض أن يسـتغرق نصف سـاعة يستغرق ثلاث سـاعات وأحيانا خمسـة ، والوقت لا قيمة لـه لأن الناس تقضى ربع عمرها على الأقل فى وسائل المواصلات أو فى سياراتهم الخاصة من العمل إلى المنزل.

والخلاصـة أن الحكومـة اضطـرت ، كما طبيب النكتة الشـهيرة، للتضحيـة بالشـعب من أجل أن تعيش هى وتسـتمر وتتوغل وتنتشـر وتطلق التصريحات المتضاربة وتصدع رؤوسنا .. بأرقام الاستثمارات والانجازات والثلاث ورقات وعملية الإصلاح السياسي والاقتصادى ، ويبدو فعلا أن العملية نجحت .. لكن الشعب مات!

سر الاختيار!

رئيس الوزراء والوزراء فى مصر ليسوا سوى مجرد أدوات لتنفيذ تعليمات وتوجيهات الرئيس الذى يجمع فى يديه جميع الخطوط ويضع السياسات العامة، ويتخذ القرارات المصيرية هو وعدد قليل جدا من مستشاريه ومعاونيه، ولذلك لا يعول الناس كثيرا على أى تغيير أو تعديل وزارى، واسعا كان أو محدودا رغم تعديل الدستور.. ولا يرون فرقا كبيرا بين أحمد والحاج أحمد، ولا ينشغلون باللعبة التى احترفتها بعض الصحف منذ سنوات لزيادة التوزيع وهى محاولة شغل الناس و"نحت" المانشيتات الساخنة حول احتمالات تغيير الحكومة واسم المرشح الجديد، والمرشحين للدخول والخروج من الوزارة، لكن الشعب لم يعد يأكل من ذلك الطبق الصحفى "البايت" ولم يعد ينشغل كثيرا بالكلام عن التعديل أو التغيير الوزارى.. فكله عند العرب صابون.. ورئيس الحومة - أى حكومة - لا ينفذ سياسة من رأسه أو من بنات أفكاره، ولا يمتلك القدرة على صناعة قرار حقيقى، ولكنه مجرد واجهة أو "شماعة" فإن نجحت سياساته تم نسبة كل هذا النجاح إلى الرئيس، وإن أخفقت تحمل رئيس الحكومة ووزراؤها تبعات هذا الفشل.

وإذا ثار الناس أو بعض الناس ضد قرار بعينه اتخذه رئيس الوزراء أو قانون جديد تم سنه، وأضر بمصالح فئة من فئات الشعب، هنا يتدخل

الرئيس بنفسه ليلغى القرار أو القانون الذى أغضب هذه الفئة أو تلك من الشعب، وتخرج كل الصحف ووسائل الإعلام لتشيد بقرار الرئيس.

ولذلك فلا فارق هناك بين الحكومة الحالية واي حكومة أخرى بعد ٢٥ يناير، أو بينها وبين الحكومات التى كانت موجودة فى عهدى السادات وعبد الناصر، ومنذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.. فالرئيس ما يزال حتى بعد تقليص صلاحياته لحساب مجلس النواب في دستور ٢٠١٤، هو كل شيء.. والحكومة مجرد أداة للتنفيذ ومصد لتحمل هجوم الصحافة وانتقادات المواطنين وامتصاص غضبهم!

ولكن مع ذلك يظل السؤال إياه معلقا.. كيف يختار الوزراء ورؤساء الحكومات والمحافظين ورؤساء الشركات ورؤساء تحرير الصحف وكل القيادات فى مصر؟! وهل من الأفضل أن يكون هؤلاء القياديون من طبقة "التكنوقراط" أى أساتذة الجامعات والأكاديميين الذين يفهمون جيدا فى النظريات، ولكن ليس لديهم خبرات كبيرة فى التطبيق والالتحام بالواقع؟ أم الأحسن أن يكونوا من الفنيين والمتخصيين، كالمهندسين والأطباء ورجال التعليم والصناعة والزراعة وغيرها، كل فى تخصصه؟ أم الأجدى اللجوء إلى الخبراء فى علم وفن الإدارة، على اعتبار أن الإدارى الناجح لا يشترط أن يكون فنيا ناجحا، فمدير المستشفى ليس بالضرورة أن يكون هو أكفأ الأطباء أو أكثرهم علما، بل ينبغى أن يكون أكثرهم قدرة على الإدارة، وأفضلهم موهبة فى فن التعامل والقيادة؟!

أنا وابن هيكل!

لست متأكدا إن كان الأستاذ محمد حسنين هيكل قد أدى الخدمة العسكرية أم لا..لكننى أظن أنه لم يؤدها ، ربما لأن والده التاجر ميسور الحال قد دفع له "البدل " الذى كان يدفعه الأغنياء وقت أن كان الأستاذ فى سن التجنيد حتى لا يخدموا فى الجيش .

والدليل على رجحان هذا الظن أن هيكل عمل وهو فى سن التاسعة عشر من عمره محررا فى جريدة "الإيجيبشيان جازيت "، فى الوقت الذى كان من المفترض فيه أن يؤدى الخدمة العسكرية لمدة سنتين باعتباره حاصلا على مؤهل متوسط .

على العموم .. فإن الأستاذ هيكل لم يفته الكثير من الخبرة العسكرية الميدانية ، ولعله عوضها مهنيا ونظريا بتغطية أخبار حرب 48 التى تعرف فيها على صديقه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورفقاء الكفاح من تنظيم الضباط الأحرار الذين حكموا مصر بعد هذا التاريخ بأربعة سنوات فقط ، وأشركوا معهم صديقهم هيكل فى السيطرة والحكم.

وإن كنت لا أعرف بالتأكيد إن كان كاتبنا الكبير قد أدى الخدمة العسكرية أم لا .. لكنى متأكد من أن ابنه حسن لم يؤدها كما اداها

أمثالى من عامة الشـعب، ومن نفس الجيل الذى عاصر حسـن وزامله لفترة لم تتعد سوى ساعات قليلة.

ولا أنسـى بالطبع أننى حظيت فى أول يوم لي في التجنيد بشـرف الركوب فى سـيارة هيكل "الإبن" التى أقلنا بها أنا واثنين من زملائنا المسـتجدين من مركز توزيع المجندين فـي حلمية الزيتون إلى مركز التدريـب فى المعـادى الجديدة ، ثـم ركنها خارج المعسـكر ، ودخل مباشرة ليبحث عن القائد.

وعرفت بعدها أن حسـن قدم شـهادة تفيد بعضويته في فريق التنس بأحد الأندية الراقية ، واستفاد بذلك من النظام المعمول به في كل جيوش العالـم ، والذي يسـمح للمتفوقين رياضيا بالالتحـاق بالفرق الرياضية التابعة للجيش ،وهكـذا ارتدى هيكل "الابن" الزي الرياضى، وقضى بقية فترة تجنيده ممسكا بمضرب تنس أرضى ،و مرتديا شورت وفانلة وكاب!.

والغريب أننى قرأت بعد تلك الواقعة بقليل كتاب الأستاذ هيكل عن ملفات السـويس ، وبعض مقالاته عن اسـتراتيجية حرب أكتوبر التى هى حرب تحريك ، وليسـت كما يدعي حرب تحرير أو رمسـيس أو حتى عتبه !.. وآمنت بالفعل بأن الاسـتاذ رجل استراتيجى من الطراز الأول ،وأنـه بالتأكيد قد أورث إبنه الذى تحول بعد ذلك بسـنوات قليلة إلـى ملياردير من خلال المضاربة بأموال "هيرميس " وأصحابها من أثريـاء الخليج فى البورصة ، أيقنت أنه أورث ابنه بدون شـك خبراته فـى الخداع الاسـتراتيجى وفنـون القتال وضرورة الصمـود وحماقة

السـلام وتداعيـات اتفاقات كامـب ديفيـد التى أعـادت إلينا الأرض المحتلة، وحرمتنا من لذة ترديد شـعارات "هنحارب .. وما أخذ بالقوة لايسـتردإلا بالقوة.. وأمجاد ياعرب أمجاد ..ولقد خسرنا مجرد معركة ولم نخسر الحرب."..وغيرها من أفانين و"افتكاسات " الأستاذ اللفظية التـى أجراها على لسـان الزعيم الخالد الركن الـذى لولاه لما ضاعت سـيناء ، ولما اضطررنا للجلوس مع اليهود ولا الأمريكان لنسـتعيدها بالحرب أو بالسلم .

لكن والحق يقال .. فإن الشـاطر حسـن ابن كبير الشـطار الأسـتاذ هيـكل كان عليـه ضربة كرة تنس ولا أجدعها نشـنجى فى مسـابقات الرماية ..وما تسـألنيش عرفت ازاى ، وهو قال لكم باى باى يا شـباب من تانى يوم فى الخدمة .. ولا شفتوه بيلعب ولا بيحارب فى الملاعب الخضـراء ولا الصفراء .. لأنى بصراحة .. والكدب خيبة ماشـفتوش بيلعب .. لكن أكيد طبعا لازم يكون لعيب . مش ابن هيكل!

شعب الله "المحتار"!

الشـعب هو الغائـب الحاضر فى جميع المناقشـات والمعارك التى تدور فى الأوسـاط الثقافية والسياسـية، وتتبارى الصحـف والقنوات الفضائيـة فى تأجيجها وإلقاء الزيت عليها لتسـخن وتشـتعل..والجميع يلوم الشـعب ويتهمه بالقصور والتقصير ويلعنه وينعته بأحط الصفات وأقسى الألفاظ.

فالسياسـيون الحكوميون يرون الشـعب كسـولا ومتـواكلا يعتمد دائما فى أموره علـى الدولة، ويتكاثر بمعدلات تفوق معدلات التنمية، وتظهر الحكومات المتعاقبة على أنها عاجزة وفاشـلة، و يطالبونه فى جرأة وصلافة يحسـدون عليها بالاعتماد على نفسه وقدراته، وأن يحل بوجهه ومشاكله وهمومه عن ماما "الحكومة" المشغولة بأمور أخرى أهم وأخطر، رغم أن هذه الحكومة نفسها التى تشكو الآن من "رذالة" الشعب، هى التى تشل قدراته وتعطل طاقاته وتضع فى وجهه العراقيل وتسود عيشـته بقوانين الجباية والفساد والرشـاوى والضرائب، وهى التى تضطره للتحايل على الفساد بالفساد، هروبا من إرث البيروقراطية المتخلـف ومئات القوانين التى تخنق الناس وتجعلهم أسـرى الحكومة وعبيد أوامرها ونواهيها وسلطتها الباطشة.

والمثقفـون يلومون الشـعب لأنه خاضع وخانـع ..لا يقرأ ولا يفهم أو يسـتوعب سفسـطتهم الفاسـدة ومصطلحاتهـم العقيمـة وقضاياهم البعيدة كل البعد عن هموم الناس الحقيقية ومتطلبات حياتهم، وأسئلتهم الوجودية التى يطرحونها على أنفسهم ويتجادلون حولها، ثم لا يصلون إلى شـيء ، وكأنهم يدورون فى متاهات من الألفاظ والمعانى المبهمة والحديث عن الأصالة والمعاصرة والكونية والعولمة وجدلية الشـرق والغـرب والتقدم والتخلف، دون أن يقدموا رؤية واضحة للخروج من أزمـة المجتمع، وكثيرون منهم يتحالفون مع السـلطة ويرتزقون منها ويشاركونها التعالى على الشعب والتنكيل به، بحجة أنه غائب أو مغيب أو أنه شـعب جاهل لا يقدر عبقريتهم المزعومة فى التحليل والتفسـير واسـتنباط الحلول المسـتحيلة من بين تلال الكتب التراثية والمعاصرة ومئات النظريات من الشرق والغرب، والتى لا تصلح بالطبع لنا لأنها ببساطة دخيلة علينا أو مستوحاة من تجارب شعوب ومجتمعات أخرى لا علاقة لها بظروفنا وتاريخنا ومشكلاتنا الحقيقية.

والحقيقـة أن أحدا من السياسـيين أو المثقفين أو رجال الدين الذين يتحدثون دائما عن الشـعب وباسـم الشـعب، لم يحاول أن يقول لنا من هو الشـعب الذى يحدثنا عنه أو يتحدث موجها خطابه إليه .. وهل هو شعب الفلاحين والعمال، أم شعب الموظفين المطحونين؟ هل هو شعب العشوائيات والبشر المنسيين والمهمشين، أم شعب قصور المنصورية وشاليهات الساحل الشمالى؟ وهل ما ينطبق على شعب المعادى ومصر الجديدة ومنتجع البيفرلى هيلز يمكن أن ينطبق أيضا على شعب منشية

ناصــر وعزبة أبو حشــيش؟ وهــل العيب حقا فى الشــعب الذى احتار الجميــع فى تعريفه وتصنيفــه ..أم العيب فى لغة الخطــاب التى توجه إليه، والغرض من هذا الخطاب ونوايا المتحدث والمغزى من الحديث؟

فالشــعب الذى ســبق أن دقت على رأســه ملاييــن الطبول، أصبح من الخبرة والذكاء، بحيث يســتطيع أن يفرز بســرعة قد لا يتصورها المتحذلقون، من يريد اســتخدامه كورقة للمزايدة السياسية، ومن يحبه بالفعل ويريد له الخير والتقدم..بين المناضل الحقيقى ..ومناضل الخمس نجوم بالدولار والاسترلينى فى الفضائيات.

وهو -أى الشعب- حين يحب شخصا أو يلتف حول رمز من الرموز الحقيقية ، فهو يحبه بجد وببساطة وتلقائية ولا يتخلى أبدا عن هذا الحب مهمــا بلغت حملات التشــويه والتنكيل من المأجورين وخدام الأســياد القدامى والجدد.

وقبل أن نلقى كل بلاوينا وعجزنا وهواننا على شماعة الشعب الذى لا يقرأ ولا يهتم ولا يريد أن يســمع ويســتوعب..يجب أن نعرف أولا ..لماذا انصرف الشعب عنا جميعا، وعاد إلى "الكنبة"، بعد أن كان قد نفض عن نفسه الأنا مالية والاستسلام للأمر الواقع في ٢٥ يناير و٣٠ يونيــو، ولماذا عاد ليعطى ظهره للسياســة وأربابهــا .. ولماذا فقد الثقة فى كل ما يقرأه ويراه على الشاشات الرسمية والخاصة..والإجابة هى لأنها ولأننا بصراحة شديدة مشغولون بأشياء لا تمسه ولا تعنيه.

لصوص الروح!

لصوص الروح هم أولئك الأشخاص الذين ينغصون عليك عيشتك ويثبطون من عزيمتك ويخفضون معنوياتك كلما التقيت بواحد منهم.. وهم أشخاص مدمنون للشكوى، لا يعرفون كلمة الحمد لله، ولا يتحدثون إلا عن كل ما هو سيئ فى حياتهم، رغبة فى استدرار العطف أو دفع الحسد، أو بدافع سلوك إنسانى فطرى مجبول على التمرد ومتعود على الشكوى وعدم القناعة.. وإذا نجوت من تأثير هؤلاء وجلست مع أصدقاء لك فى العمل أو على المقهى أو فى النادى أو أى مكان آخر فى مصر المحروسة، وتابعت حديثهم ستجد الجميع يشكون ضيق ذات اليد أو اعتلال الصحة أو عقوق الأبناء، أو يتبارون فى الكلام عن أوجه الفساد الذى عم البر والبحر.. والكوسة والمحسوبية التى حرمتهم من الترقية أو منعتهم من الفوز بمكسب من المكاسب.. المهم أنك نادرا ما ستجد أحدا منهم يتحدث عن خير حدث له أو شىء مفيد ينفعك به، أو معلومة جديدة تضيفها إلى رصيد ثقافتك.. ولن تجد سوى الشكوى والقنوط واليأس والإحباط.. وإذا هربت من ذلك كله إلى مشاهدة برنامج تليفزيونى، فلن تجد أمامك سوى المشاكل من كل نوع.. لا أحد يبشر بأمل فى شىء.. الكل يشكو.. والكل يتبارى فى ذكر العيوب والمساوئ والأخبار التعيسة.. وإذا طاوعت نفسك وقرأت الجرائد فسترفع ضغط

دمك بدون فائدة أو مبرر.. لا كلام سوى عن التلوث وجرائم السرقة والرشوة والقتل والاستيلاء على أراضى الدولة والنصب على الغلابة والمرتاحين.. ومن النادر أن تقرأ أيضا موضوعا متفائلا أو مقالا يجد من خلاله كاتبه أى بقعة ضوء ليتحدث عنها.. فالكل يشكو والكل ينعى العروبة والشرف وأيام الزمن الجميل.. والأخطر من ذلك هو جلد الذات المستمر والمبالغة الشديدة فى نواحى القصور لدينا ونواحى التفوق لدى الآخرين.. وهى حرب نفسية نمارسها ضد أنفسنا.. ولا يحلم أى عدو مهما أنفق من أموال بأن يصل إلى نتيجتها الحتمية وهى قتل الأمل فى نفوس الناس وعدم إحساسهم بأى طعم للحياة أو رغبة فيها، وهو ما قد يؤدى إلى الاكتئاب بدرجاته التى قد تصل إلى درجة الرغبة فى الموت والإقدام على الانتحار المادى والمعنوى.

فلماذا نفعل ذلك بأنفسنا، وبماذا يشعر الكاتب إذا سود الدنيا فى وجوهنا، هل هو يبرئ ذمته وخلاص.. أو يحاول أن يقول.. أنا مش معاكم أو أنا أفضل منكم.. ولماذا يسافر الشخص منا إلى الخارج ثم يعود ليعايرنا بفقرنا وعشوائيتنا ويقول.. يا سلام هناك إشارات المرور بتحترم والشوارع نضيفة والدنيا حلوة والناس لطيفة.. طيب وده معناه أيه.. يعنى ماذا نفعل نحن المضطرون للمعيشة فى ظل أوضاع سيئة.. هل نموت غيظا وكمدا.. يا سارقو الأرواح رفقا بنا كرهتونا فى عيشتنا!

جرب أن تفقد ذاكرتك

في كتابه البديع "أيام لها تاريخ" قال الكاتب والمفكر الكبير الراحل أحمد بهاء الدين إن ما يميز الانسان عن الفئران أن الانسان حيوان له تاريخ ويستطيع التعلم من خبراته وتجاربه السابقة ، على عكس الفئران التي لا تتعلم أبدا من تاريخها وتظل تأكل قطعة الجبن وتقع في المصيدة.

والمصريون شعب عريق وله بالتأكيد تاريخ طويل وحافل بالاحداث والانتصارات والانكسارات ، لكنه شعب بلا ذاكرة، فنحن ننسى بسرعة ولا نكاد ننشغل بموضوع ونتحمس له حتى نمل منه ونتعلق بموضوع آخر وهكذا في دائرة عبثية لا تنتهي.

ويبدو أن ذاكرتنا ليست فقط ضعيفة لكننا نتعمد أحيانا أن نفقدها ونعطيها حقنة بنج قوية لتغفو وتنام وتريحنا من الاحساس بالعجز والسلبية وعدم القدرة على الفعل. فقد تعودنا جميعا أن نشكو وصارت الشكوى جزء من تكويننا الانساني وحواراتنا اليومية ، لكننا لا نفعل عادة سوى القليل للتخلص من أسباب هذه الشكاوى..وزمان قالوا الكل يشكو فمن سرق المصحف ومن ظلم كل هؤلاء الشاكين المتباكين على القيم والفضيلة والمتضررين من الفوضى والفساد.

فالجميـع غير راضين ، الغني والفقيـر ، المتعلم والأمي ، المثقف والجاهـل والـكل يكرر نفس الكلام عـن غياب النظـام والفوضى في الشـارع وأزمة الشـرف والضمير وانعـدام الالتزام والغـلاء وأزمة المرور والرشـاوى وتفشي المحسوبية والجميع تقريبا أيضا يشاركون فـي اسـتمرار هذه الاوضـاع التي يشـكون منها ولو بالسـكوت عنها والصبر عليها وعدم اتخاذ أي شـئ حقيقـي لتغييرها، اللهم الا المزيد من الشكوى.

وأي حوار بين اثنين أو أكثر ينتهي غالبا بمصمصة الشفاه والدعاء بالسـتر والخلاص من تلك الأوضاع السـيئة. ويبدو أن الشكوى مسألة قديمة ومتجذرة في تكويننا النفسي والثقافي منذ أيام الفلاح الفصيح ، فقد أرسـل هذا الفلاح شـكواه الى الفرعون وهو يعلم أنه أصل البلاء،وأنه لولا أن الظلم هو الأسـاس الذي يحكم به ويقوم عليه نظامه السياسـي لمـا ظلم رعاياه بعضهم بعضا ولما اضطر هذا الفلاح البسـيط للجوء الى الشكوى.

ولا زلنا حتى الآن نفعل مثله ونترك المتسـبب الرئيسي في الأزمة لنبحث عن كبش فداء ضعيف نقدر عليه ونصوب اليه سهامنا، ونعتبر ذلـك نوعا من الكياسـة أو الفهلوة ، فنحن لم نتعـود أن نقول للفرعون هكـذا في وجهه أنت ظالم وأنت منبع كل المظالم، ولكننا قد نتجرأ فقط لنوجه اللوم إلى بلاط السلطان أو الحاشية أو مجموعة الموظفين الذين يتصدرون عادة المشـهد السياسي ليقذفهم الشعب بالطوب ويكف لسانه عن الفرعون، وإذا اسـتفحلت الأزمة وطاشـت الكلمـات هنا أو هناك

يتدخل الكبير في الوقت المناسب ليرفع الظلم الذي سبق أن قرره أو على الأقل "طنش" عليه أو أراد أن يختبر تاثيره على الناس.

وفي هذه الحالة وغيرها تصيبنا نوبة فقدان الذاكرة المؤقت ونحيي الزعيم على حمايته رعاياه من أخطاء من اختارهم بنفسه ومنحهم ثقته وأعطاهم الضوء الأخضر لتعذيبنا وتجربة أفكارهم الغبية فينا وفي أولادنا..المهم ألا يقترب أحد من المنطقة المحظورة وألا ينضم الى الجماعات المحظورة وألا يروج للأفكار المحظورة وألا يستمع للشخصيات المحظورة وألا يحاول أن يعيش الحياة الكريمة المحظورة عليه وعلى نسله المحظورين وأن يجرب أن يفقد ذاكرته كليا ويرتاح، بدلا من نوبات فقدان الذاكرة المؤقتة!.

الفصل الرابع:

عن الإعلام .. سألوني!

النخبة.. ظاهرة إعلامية!

بين من يسمون أنفسهم بالنخبة وبين معظم الناس، انفصام كامل وهوة سحيقة، تجعلهم يعيشون فى برج عاجى، ويبدون وكأنهم يتحدثون لشعب آخر غير هذا الشعب، أو يتحدثون مع أنفسهم، ويناضلون فى سرهم، رغم التغطيات الإعلامية الواسعة لمؤتمراتهم وندواتهم وحركاتهم وسكناتهم فى الصحف الخاصة والفضائيات الحرة المستقلة ..ورغم احترامى الشديد لكثيرين منهم، وفيهم أدباء لامعون وفنانون معروفون وأساتذة جامعيون ومفكرون كبار وصحفيون مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة ومهندسون ومحامون محترمون، إلا أنهم بعيدون كل البعد عن الشارع وعن الناس، والناس هم الآخرون بعيدون عنهم، ومشغولون بالكفاح اليومى من أجل البقاء..

وهم رغم الصخب الإعلامى الذى وفرته لهم ثورة الاتصالات وهامش الحرية المتسع، وبعض الضغوط الخارجية على النظام، لا تأثير حقيقى لهم، ولا جدوى تبدو فى الأفق، على الأقل القريب، مما يعلنونه من ائتلافات وتحالفات ضد الفساد أو من أجل التغيير، فالحال على ما هو عليه، والناس تعودت الحديث عن مظاهر التردى وأوجه الخلل وظواهر الفساد فى كل مؤسسات المجتمع، كجزء من الحوار اليومى فى البيوت وعلى المقاهى ..الكل ينتقد، والجميع يتسابقون فى الكلام عن الحلم الضائع والأمان المفقود، أو يتباكى على زمان وأيام

زمان، لكن لا أحد يتوقف ليسأل نفسه أو يسأل الآخرين، وماذا بعد، أو ماذا سنفعل لنقاوم هذا أو نعدل ذاك، أو من سيقوم بالتغيير، وحتى الإضرابات والاعتصامات التى كانت قد توقفت بعد ثورة ٣٠ يونيو، و الإطاحة بالإخوان، ثم عادت من جديد على استحياء بعد أقل من عامين من حكم السيسي، لا يطالب أصحابها بتحقيق أهداف ثورة ٢٥ يناير أو بإصلاح أو تغيير حقيقى، وإنما تطالب بمجرد مزايا فرعية لمهنة من المهن أو طائفة من الطوائف، كما كان يحدث أيام مبارك، بلا رؤية جماعية للمستقبل ولا تفكير جدى فى الغد.

أما الشباب المتحمسون المنطلقون من "الفيس بوك"، ومواقع الإنترنت، فلا صدى حقيقى لهم فى الشارع، ولا اهتمام بهم أو بما يقولون ويفعلون من غالبية الشباب أنفسهم، المشغولون بكرة القدم أو ضغوط الامتحانات أو البحث عن وظيفة ..ورغم احترامى الكامل أيضا لحماسهم وعدالة مطالبهم وصدق نواياهم، إلا أنهم سيظلون أقلية غير فاعلة، إن لم يتفاعل معهم على الأقل من هم من جيلهم، وأرى أنه كان الأجدر بهم أن يخاطبوهم ويستقطبوهم أولاً، قبل أن يحولوا خطابهم إلى المجتمع كله، صحيح أن الشباب والطلبة، تحديداً، كانوا دائما فى طليعة الوطنيين والمقاومين لكل أشكال الظلم، ولعبوا دوراً بارزاً فى كل حركات المقاومة الوطنية فى العصر الحديث، وكانوا ولا يزالون يمثلون الوقود الحى لكل الاحتجاجات والتظاهرات، لكنهم يبدون الآن، وكأنهم لا يعرفون ماذا يريدون بالضبط .. فالحماس وحده لا يكفى للتغيير، والإصرار على المعارضة الاستعراضية قد يحولهم هم الآخرين، كما تحول مناضلو النخبة إلى مجرد ظاهرة صوتية أو إعلامية!

دُعاة الدين وأدعياؤه

الداعية عمرو خالد.. نجم لمع بسرعة وحقق شهرة غير مسبوقة لواعظ اجتماعى - كما يطلق على نفسه - أو داعية دينى كما يسميه الإعلاميون، ثم خفت نجمه بشدة فى فترة قصيرة، لدرجة أن نساه الناس، حتى عاد من جديد فى رمضان الماضى ليستأنف تقديم برامجه الدينية على إحدى القنوات الفضائية الخاصة، بنفس الدرجة من السطحية الشديدة فى التناول والاعتماد على الشحن العاطفى وتأثير الصوت المتهدج.

ولم تفلح العفوية المصطنعة أو التمثيل الواضح الذى يغلف عمرو خالد أداءه فى تعويض ضعف المنطق وسذاجة الطرح والاستسال المخل فى تناول قضايا مهمة مثل قضية انتشار مواقع الإلحاد على شبكة الإنترنت، والصفحات التى تهاجم الأديان على موقع «فيس بوك» الشهير بالتحديد. ولو كان «خالد» قد استعان ببعض العلماء والمفكرين الذين تخصصوا فى مواجهة هؤلاء بالحجة العلمية والدينية مثل المفكر الإسلامى الكبير محمد عمارة، أو الطبيب المثقف د. عمرو شريف لما وقع فى كل تلك الأخطاء التى وقع فيها فى الحلقتين التى خصصها من برنامجه للرد على الملحدين.

والمحزن فى الأمر أن يجد المشاهد نفسه فى حالة مقارنة غير عادلة أو موضوعية بين الداعية المفلس عمرو خالد وداعية آخر يستحق هذا

اللقب عن استحقاق وجدارة، وهو الداعية الخليجى أحمد الشقيرى الذى قدم هذا العام الجزء الحادى عشـر فى سلسلة حلقاته المسماه بالخواطر على قناة فضائية عربية أخرى، واسـتطاع كالعـادة أن يثبت أن الدين كان وسـيظل دسـتور الإنسـان لتحقيق التوازن بين الـروح والمادة.. وقـدم تحت لواء الآية الكريمة : «هل جزاء الإحسـان إلا الإحسـان» يد المسـاعدة للكثير من الباحثين عن دعم مالى بسـيط لتحقيق أحلامهم المشـروعة عبر العالم ودون النظر إلى جنسـياتهم أو دياناتهم، ليؤكد بشـكل غير مباشر عالمية الإسـلام، ويرشح لقيم مساعدة الآخر بشكل إنسانى مجرد وبعيد عن التعصب الجنسى أو دين أو الدينى.

واسـتمر الداعية الشاب مصطفى حسـنى فى تقديم رؤاه وخواطر وتأملاته الروحانية الجميلة فى برنامجه الذى يتابعه الملايين من جميع أنحاء العالمين العربى الإسـلامى ببساطة وتلقائية وقدرة على اختراق القلوب والعقول بدون اسـتئذان، كما اسـتمرت مقولاته المسـتمدة من كتاب الله وسـنة رسـوله فى جذب واسـتقطاب رواد مواقـع التواصل الاجتماعى، حيث تحظى مقولاته وتأملاته بدرجة كبيرة من التفضيلات.

الفضائيات.. والكمبوشة!

يبالغ البعض فى انتقاداتهم للإعلام، وخصوصًا للفضائيات الخاصة التى سحبت البساط من تحت أقدام قنوات التليفزيون الرسمى، وأصبحت تشكل قسمًا مهمًا من وعى الناس وتحدد صورتهم الذهنية عن كثير من القضايا والأشخاص.

ورغم أهمية تلك الفضائيات الخاصة، وخطورة الدور الذى تلعبه فى السنوات الأخيرة، سلبًا وإيجابًا، إلا أنها ليست المصدر الوحيد لتكوين الرأى العام، سواء هى أو الصحف القومية والخاصة، بل على العكس، فإن المبالغة الشديدة التى تتناول بها بعض القضايا والأسلوب الفج المباشر الذى تحاول به تحريك وتحريض الرأى العام فى اتجاه سياسى معين، يفقدها أحيانًا مصداقيتها ويدفع الناس نحو الاتجاه المعاكس.

وما لا يعرفه الكثيرون أن معظم مقدمى برامج «التوك شو» ليسوا سوى أدوات يحركهم ويلقنهم ما يقولون جنود آخرون مجهولون، هم رؤساء تحرير تلك البرامج وكُتاب السكريبت، وهم مثل عامل «الكمبوشة» الذى يختبئ فى مكان ما تحت خشبة المسرح ليلقن الممثلين ما يقولون، أو يذكرهم بما هو مكتوب فى النص المعد سلفًا.

ومعظم هـؤلاء المذيعيـن يقرأون تعليقاتهـم التى يلقونهـا بانفعال شـديد، وتقمـص رائع، لدرجة اننا نصدق أنها مـن بنات أفكارهم، من شاشات كمبيوتر كبيرة تسمى «الأوتوكيو» مثلهم مثل مقدمى النشرات الإخبارية.. وبعض هؤلاء يتلعثم ويلجأ إلى الفواصل الإعلانية للهروب من المشاهدين، إذا حدث عطل فى تلك الشاشات التى يقرأ منها تعليقاته على الأحداث حرفيًا..

وهذا لا يمنع بالطبع أن بعض مقدمى برامج «التوك شو» يخرجون أحيانًا عن النص المكتوب، ويقولون من عندياتهم ما يثير عادة سخرية المشاهدين منهم، ويتحولون إلى مادة صحفية للنميمة وصيد سهل لرواد مواقـع التواصل الاجتماعى للتعليق عليهـم والتندر بأقوالهم وهفواتهم على الهواء.

وكما يتحكم رئيس التليفزيون ورؤساء القنوات وقطاعات الأخبار، فيمـا يتم بثه من خلال برامج ماسـبيرو، فإن ملاك ورؤسـاء القنوات الفضائية الخاصة هم الذين يتحكمون فى رسم سياسات وتوجيه مذيعى معدى برامج تلك القنوات.. وهؤلاء هم الذين يستحقون الثناء أو الانتقاد أو حتى العقاب!

أولويات الإعلام

لماذا لا تناقش القنوات الفضائية الملفات التى تتعلق بحياة الناس ولقمة عيشهم ومستقبلهم؟!..لماذا تعيد وتزيد فى مناقشة قضايا جدلية أو أحداث غريبة مثل واقعة تسميم القطط فى أحد النوادى الراقية، وتهمل قضية مهمة وشائكة مثل الثروات المنهوبة فى الداخل والخارج وكيفية استعادتها والحصول على حق الدولة الضائع فى فروق الأسعار بين ما تم الحصول عليه بالفساد واستغلال النفوذ ايام الرئيس المخلوع مبارك..ولماذا لا تعير برامج «التوك شو» على كثرتها أى اهتمام لقضايا وضع اليد على أراضى الدولة والتعديات على الأراضى الزراعية والبناء على النيل؟!.

الحقيقة أن الملكية تحدد الأولوية..وإذا كان معظم الفضائيات الخاصة مملوكة لرجال أعمال تورط بعضهم فى تسقيع أراضى الدولة والاقتراض بمئات الملايين من البنوك بدون ضمانات، فلا عجب من أن تتجاهل قنواتهم مثل هذه القضايا التى قد تمسهم وتفضح مصالحهم وحجم تجاوزاتهم فى حق الشعب..ويا بخت من كان لديه فضائية يدافع بها عن نفسه ويضغط بها على الآخرين لكى يتجاوزوا عن سوءاته..واللى ليه فضائية له ظهر قوي، يحميه من تلقى الضربات والطعنات.

ورغم التصريحات الخطيرة التى أدلى بها الرئيس السيسى الأسبوع الماضي، واتهم فيها بعض المواقع الاليكترونية والصحف والفضائيات

بالسعى للهجوم على مصر بتمويل قطرى تركي، إلا أن أحداً من تلك البرامج لم يحاول مناقشة تلك القضية المهمة وكيفية مواجهة حملات التشكيك والتضليل والحملات الاعلامية المضادة لنا ، وهو الدور الذى من المفترض أن يتكاتف الاعلام الرسمى مع الصحف المستقلة والفضائيات الخاصة للقيام به ، لفضح ممولى صحف ومواقع وقنوات الطابور الخامس الذى يحاول عرقلة مصر واستقطاب النخبة وقادة الرأى العام بالمال للتشويش على الصحوة الجديدة التى يقودها الرئيس السيسى للخروج بمصر من النفق المظلم والوصول بها إلى المكانة التى تستحقها .

وبالطبع فإن من حق رجال الأعمال أن يدافعوا عن مصالحهم ووجودهم، ولكن ليس من حقهم توجيه الرأى العام بما يخدم ويتوافق مع تلك المصالح، وليس من حقهم أن يضللونا ويشغلونا عن قضايانا المهمة، وليس من حقهم بث روح التشاؤم والشك فى كل شىء وأى شىء.

لقد تحولت السياسة فى مصر إلى ظاهرة فضائية..كل شىء تجرى مناقشته وتشريحه فى الفضائيات..ومع التسليم الكامل بالدور المهم الذى لعبته بعض القنوات الفضائية الخاصة فى كشف كذب وتدليس الإخوان وحشد الناس للمشاركة فى الاستفتاء على الدستور والانتخابات الرئاسية، إلا أن بعض تلك الفضائيات لا يهتم بمستقبل هذا الوطن، بقدر ما يهتم بالمنافسة غير الشريفة على السبق الاعلامى، حتى ولو كان يضر بالأمن القومى أو يساعد فى تحقيق أهداف أعداء الله والوطن.

مواقع الفتنة.. وشائعات الوفاة

لا شـك أن المواقع الإخباريـة الإليكترونية لعبت دورًا كبيرًا فى تقديـم خدمة مهمة ومتميـزة لإطلاع جمهور شـبكة الانترنت على أحدث وآخر الأخبار، وأنها أصبحت تمثل تحديًا كبيرًا أمام الصحافة الورقية التى لا تملك القدرة على منافستها من حيث سرعة تغطيتها للأحداث وكم الأخبار والموضوعات التى تبثها على مدار الساعة.

ولكـن معظم هذه المواقع أصبـح يضحى بالحرص على التحقق من الأخبار وتوفر سـمة المصداقية فيها أمام هوس السبق الصحفى ومحاولة سـبق الآخرين فى نشر الأخبار دون التثبت منها، وهو ما أصبح يشـكل خطرًا كبيرا على صورة الإعـلام التى اهتزت كثيرًا مـن فرط ما تم نشـره من أكاذيب وشـائعات، وخصوصًـا بعد قيام ثورات الربيع العربي.

وأول من اكتوى بنار هذا السـيل المسـتمر من الأخبار المكذوبة والتقارير المغرضة والشـائعات هم المشـاهير وبخاصـة الفنانين، الذين لم تعد تقف الشـائعات التى تطلقها بعض المواقع الإليكترونية عنهم على ما تعودناه من شـائعات الزواج والطلاق ولكنها وصلت إلـى درجة نشـر أخبار وفاة عدد من نجوم الفـن التى يثبت بعد ذلك

عدم صحتها، كما حدث مؤخرًا مع المطرب اللبنانى جورج وسوف والنجم السورى الكبير دريد لحام والفنانة القديرة مريم فخرالدين.

ومما يزيد من خطورة هذا الانفلات الإعلامى غير المسبوق ذلك التحالف غير المعلن بين المواقع الإليكترونية الإخبارية ومواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة فيس بوك وتويتر، حيث تحولت الأخيرة إلى مصادر مهمة للمعلومات والأخبار التى يتم نقلها عنها دون محاولات التحقق منها رغم ما هو معروف عن استغلال الكثير من الجماعات والتنظيمات الإرهابية ومجموعات المصالح المغرضة لتلك المواقع للانتقام من خصومها وزرع الفتنة وإثارة الحقد والكراهية وتشويه السمعة ونشر البلبلة والأخبار الكاذبة.

ولأن الحلول الأمنية لا تكفى وحدها لمواجهة مثل هذه الحروب الفكرية والنفسية، فإن إلقاء اللوم كله على مباحث الانترنت لن يحل المشكلة ولن يؤدى إلى وقف ما تقوم به اللجان الإليكترونية لجماعة الإخوان الإرهابية وغيرها من محاولات لتزييف الوعى والتشكيك فى كل إنجاز يتحقق على الأرض، كما أنه لن يمنع فنانة من نشر خبر تستهدف به سمعة فنانة منافسة لها، أو رجل أعمال من تصفية خصومه معنوياً.

ولابد من التزام أو إلزام المواقع الإليكترونية بعدم النقل عن مواقع التواصل الاجتماعى إلا بعد التأكد من طبيعة المعلومات التى تنقلها، والبحث عن آليات جديدة تتناسب مع تلك الوسائل الحديثة للاتصال لمنع حرق الوطن بحجة حرية التعبير!

معارك صحفية لتكسير العظام

الصـراع بين الصحفيين والإعلاميين بشـكل عام وصل إلى درجة من التدنى والسـوقية لم يصلها الإعلام المصرى فى أى عصر سـابق ..بدايـة مـن الصحفـى ورئيس التحرير الذى وصف أسـتاذه السـابق ومعلمه فى الصحافة بأنه شـاذ جنسياً ، معتمداً على إثارة قضية قديمة حـاول بعـض الكبار توريطه فيها بعد أن خـرج عن الخط ، وثبت من التحقيقات بما لايدع أى مجال للشك براءته منها ، فما كان من الاستاذ إلا أن رد على تلميذه فى صحيفته الخاصة ، بفضحه أمام الرأى العام ، وتذكيره بأنه كان عقيماً وأنه طلب مساعدته حين كان لايزال مرؤوساً لـه فى احدى المجلات الحكومية فى العلاج عند دكتور أجنبى وتغطية نفقات الجراحة المكلفة ، لامزاً إياه بالتشكيك فى بنوة إبنته التى أنجبها من زيجة حديثة!

وهكذا شتم التلميذ أستاذه وقال له أنت شاذ ، فرد عليه ، وأنت عقيم وابنتك ليسـت إبنتك .. ولم تمر شـهور قليلة على هذا التراشق اللفظى العبثى والطعن المتبادل فى الأعراض ، حتى تبادل اثنان من المذيعين والمعلقين الرياضيين الشتائم والأوصاف البذيئة كل من خلال برنامجه على نفس القناة الفضائية الرياضية.

والغريـب أن هذه الوقائع تحدث في غياب كامـل لنقابة الصحفيين التـي من المفترض أن تحول من يتجاوز مـن اعضائها أصول اللياقة وآداب المهنـة لمجالـس تأديـب داخلية، وفـي تجاهل مطلـق لميثاق الشـرف الصحفى الـذى اضطرت نقابة الصحفيين لمناقشـته والدعوة إلى صدوره وتفعيله منذ نحو ٧ سنوات ، بعد حدوث خناقة على الهواء مباشرة بين رئيس تحرير صحيفة مستقلة سابق ، ورئيس مجلس إدارة مؤسسـة صحفية حكومية ، ووصل الحوار بينهما إلى أن يشـتم الأول الثانى ويصفه بأنه كلب سـلطة ، فيرد عليه الثانى بأنه دكتور حيوانات وحيوان مثل الحيوانات التى كان يعالجها .

والمؤسـف حقيقة أن يتحـول الصراع بين الصحفيين من منافسـة شديدة على الوصول إلى مصادر الأخبار وتقديم خدمة إعلامية متميزة للقارئ ، والتفوق على الآخرين بالخبر السـاخن ، والتغطية الصحفية النموذجية ، والتحليل الرزين ، والرأى الصائب ، والأسـماء اللامعة ، إلى صراع تستخدم فيه أرخص الوسائل وأحط الألفاظ !.

متى نصدق التليفزيون؟!

مـن يتحـدث عن حرية مطلقـة للإعلام، يعيش فـى عالم خيالى لا وجـود له على أرض الواقـع، فأمريكا واحة الحريـة وأرض الأحلام تقمـع المتظاهريـن وتلـون الأخبار وتسـيطر على محطـات فضائية وإخبارية مهمة بسلاح المال واللون السياسى، وأوروبا التى اخترعت حقوق الإنسان ومواثيقها لا تجرؤ صحفها ووسائل إعلامها على انتقاد اليهود أو الحديث عن عنصريتهم واضطهادهم وتنكيلهم بالفلسطينيين، ولا تجرؤ على نشـر كتابات ووثائق تشـكك فى «الهولوكسـت» ومن يفعل ذلك يتعرض للمساءلة القانونية ويظل مطارداً وموصوفا بالعداء للسامية.

ولذلـك فنحن لا نريد من الإعلام الحكومى الرسـمى أن يكون حراً بنسبة 100٪، نطالبه فقط بأن يكون عاقلاً وعقلانياً، فلا معنى أن تكون هناك أحداث جسـام ومظاهرات واشـتباكات، ثم تخـرج علينا قنوات التليفزيون لتقول إن كل شـىء تحت السيطرة، وتركز الكاميرات على الكورنيش أمام ماسبيرو، كما كانت تفعل أيام نظام مبارك ومن قبله.

ولا معنى أبداً لتجاهل تساؤلات الناس واستفساراتهم، وتبنى وجهة نظر وحيدة وواحدة طوال الوقت، لأن ذلك لا يفقد التليفزيون الحكومى فقط مصداقيته وتأثيره فى الناس، ولكنه يعطى الفرصة لقنوات فضائية

أخرى شقيقة وغير شقيقة للاصطياد فى الماء العكر، وتسليط الأضواء على أصوات أخرى متطرفة لا تريد لنا الخير أو الاستقرار.

ولن يستعيد الإعلام الحكومى عافيته وقدرته على التوجيه، إلا إذا كان صادقا ومقنعاً، وهو ما لن يتحقق باستخدام نفس الأدوات والوجوه والسياسات القديمة.

وليس معقولاً أن يستفيد النظام السابق من وجوه إعلامية لها شعبية بين الناس وقادرة على مخاطبيتهم والتأثير فيهم، ثم نعود بعد الثورة لنتخلص منهم ونستبعدهم بحجة أنهم يتقاضون مبالغ كبيرة وأرقاماً مبالغ فيها، ونستبدلهم بكوادر عفى عليها الزمن وتراكم عليها تراب الزمن، وندفع بهم إلى الشاشة فى وقت حساس وصعب، نحتاج فيه إلى من يقدر على المنافسة، ثم نفاجأ بمن استبعدهم الرسميون يخرجون علينا من فضائيات جديدة وعديدة، لا نعلم شيئا عن تمويلها وتوجهاتها، ولا نفهم لماذ تصر دائما على التسخين وصب الزيت على النار، وكأن هناك «ثأر بايت» بين أصحابها والثورة والثوار وحكام مصر الآن.

والحقيقة أن غياب التليفزيون الحكومى وعجز قياداته وتقصير المسئولين عنه هو الذى أعطى للآخرين الفرصة لكى ينفردوا بالساحة، ويبثوا ما يشاءون من رسائل زرع الفتنة وتأليب الناس وتسميم الأجواء. ولو استمر هؤلاء فى الفضاء وحدهم.. قل على مستقبلنا السلام.

عفوًا كلية الإعلام.. نادم على دخولك!

الهالة الإعلامية والشـعبية التي تحيط بكلية الإعلام, وتصورها على أنها حلم يفتح أمام خريجيه بوابة العمل في الصحف والتلفزيون والوقـوف على عتبة الشـهرة والأضواء..والمجمـوع الكبير الذي تشـترط الكلية على طلاب الثانوية العامـة الحصول عليه للالتحاق بها, لا يتناسب تماما مع مضمون ما تقدمه لطلابها وطالباتها..

فمناهج كلية الإعلام ليست سوى "سمك –لبن- تمر هيندي" خليط غير متجانس من مواد دراسية مستوحاة أو مأخوذة بشكل مباشر من كليـات أخرى..فطالب الإعلام يدرس قليل من اللغة العربية بطريقة عشـوائية, وبحسب اسـتاذ العربية الذين يتعاقدون معه, فهو يدرس الأدب العربي هذا العام والنقد العام الماضي والنحو والصرف السنة المقبلة..المهم أن هناك مادة في سنة أولى اسمها لغة عربية..

طالب الإعلام يدرس كذلك الإحصاء والاقتصاد والكمبيوتر وعلم النفـس الاعلامي والاجتماع ومقدمة في العلوم السياسـية ونظريات الاعلام القديمة البالية من أيام "ولبور شرام" وكلها نظريات أمريكية خرجت في الثلاثينات والأربعينيات..ونسيت أنه يدرس أيضاً التاريخ العربي أو الإسلامي..والشئ الوحيد الذي يجمع ذلك كله هو السطحية الشـديدة في التناول بحجة تثقيف إعلامي المستقبل واعطائه نبذة عن

كل شـــئ.. والحقيقة أن الطلبة يخرجون من هـذه الكلية البراقة دون أن يتحصلوا على علم حقيقي, أو قيم أعدادهم لممارسة التخصصات التي من المفترض أنهم قد اختاروها في أقسام الكلية الثلاثة.

رغـم أن امكانيات التدريب بالكليـة قد تطورت كثيراً بعد انتقالها إلى المبنى الجديد الخاص بها إلا أن فلسـفة التدريب نفسـها لا تزال قاصـرة وبعيـدة تماما عن حقيقة ما يحدث بالفعـل في الواقع العملي ولذلك يجد الخريج نفسـه وكأنه يبدأ ن أول السـطر ويتعلم بالتجربة والخطأ بالصحيفة أو الوسـيلة الإعلامية إلا إذا استطاع بالصدفة أو الواسطة الالتحاق أو التدريب بها.

نعم..فخريج كلية الإعلام ليست له أية ميزة عن غيره من خريجي الكليـات الأخـرى ولا أفضليـة له فـي العمل بالصحـف أو الإذاعة والتلفزيون وشركات العلاقات العامة..وشهادته لا تعطيه سوى ميزة وحيـدة لا قيمة لها وهي انتقاله من جـدول تحت التمرين إلى جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين بعد سنة واحدة من تسجيله بالجدول فيها يحتـاج جريجو الكليات الأخرى إلى سـنتين للانتقال من جدول إلى جدول ..وهذه فقط هي الحسنة الوحيدة.

إذن..لمـاذا كل هذا البريق والوهج الـذي تتمتع به الكلية ..ولماذا هذا المجموع الكبير ..حقيقة لا أعرف..كل ما أعرفه أنني دخلت هذه الكلية وتخرجت منها دون أن أتعلم شيئاً حقيقياً وأنني نادم على أربع سـنوات ضاعت هباء في دراسـة عقيمة وسطحية لم تضف لي شيئاً في كلية الإعدام..عفواً كلية الإعلام.

المتحذلقون

أهم ما يميز المواقع الإخبارية والمتنوعة على شبكة الإنترنت، هو هذا التفاعل السـريع والمباشر بين الكاتب والقارئ، ورد الفعل السريع الذى يتلقاه محرر الخبر أو التقرير أو المقال على ما يكتب، وهو شبيه برد فعل جهور المسـرح على الممثل المسـرحى الذى يتعرف مباشرة على مدى نجاحه أو فشله فى تجسيد الدور من خلال رد الفعل المباشر والتلقائى للجمهور الذى يصفق له أو ينصرف عنه، وعما يقوله ويمثله على خشـبة المسـرح، وهو ما لا تحققه الوسـائل الفنية الأخرى، وإن كانت هى الأوسع انتشاراً مثل السينما والتليفزيون.

ويسـمى رد الفعل المباشر فى علوم الإعلام والاتصال الجماهيرى ب ''رجع الصدى'' أو ''الفيد باك''، الذى لا يتحقق من خلال الصحف الورقيـة بنفس القدر السـريع والفعال الذى يحـدث من خلال الصحف والمواقـع الإليكترونية..ورجـع الصدى مهـم جداً بالنسـبة للكاتب أو المحـرر فى تحديد مدى تأثيره وتفاعل القارئ معه، ورضاه أو رفضه لما يكتب من أخبار أو أفكار.. ويسـتفيد الكاتب كثيراً من ردود الأفعال تلـك فى تحديد توجهاته واتجاهاته فى الكتابـة واختيار الموضوعات، ورؤية المتلقى للقضايا التى يطرحها.

وبمثل مـا هنالك من تعليقات مفيدة وبناءة تضيف للكاتب وتعمق وعيـه وتزيد إحساسـه بالموضـوع الذى يكتب فيه، بقـدر ما هنالك أيضاً من تعليقات ساخرة أحياناً ومستهزئة أحياناً وجارحة فى بعض الحالات تسـفه الكاتب وما يكتب.. ولا أتحدث هنا عن النقد الإيجابى الـذى يتقيد بالحد المسـموح بـه من الاختلاف فى الـرؤى والأفكار ويحترم فكرة الرأى والرأى الآخر، لكنى أقصد الشـتائم والإساءات البعيـدة كل البعد عـن الموضوعية، والتى لا يقصد صاحبها سـوى الإسـاءة والتجريـح لمجـرد اختلافه فى الرأى مـع الموضوع الذى يناقشـه.. وقد لاحظت أن هناك أنواعاً كثيرة من التعليقات والمعلقين على ما ينشر على المواقع الإلكترونية.. ويمكننى أن أصنفها إلى عدة نماذج أو عناوين رئيسية.

المعلق المثقف:

وهـو كاتب التعليق الذى يضيف إلى الموضوع الذى يقرأه معلومة إضافيـة، أو وجهة نظر قد تكون غائبة عن كاتب الموضوع أو المقال نفسـه، وهـو نوع مفيد وجميـل وإيجابى من التعليقـات، تثرى النقاش وتفيد القارئ والكاتب معاً.

المعلق المصحح:

وهو كاتب التعليق الذى يركز تماما فى قراءة الموضوع أو المقال، ويهتـم للغاية بتصحيح ما جاء فيه من أخطاء سـواء كانت فى معلومة تاريخية أو فى الأحداث والوقائع التى يتحدث عنها المقال.

المعلق المصلح الاجتماعى:

وهـو كاتب التعليق الذى ينظر إلى أى موضوع من زاوية أخلاقية أحيانـاً ودينيـة فى معظم الأحـوال، ويزن الموضـوع بميزان الحلال والحرام، ويحتكر لنفسـه تصنيـف الصح والخطأ، ويقـرأ الموضوع جيـداً، ثم يكتـب.. "إيه الكلام الفـارغ ده..وليه تشـغلونا بموضوعات تافهـة.. ليه ما تتكلموش عن فلسـطين والعـراق".. وقد يدعو الله على كاتب الموضوع والموقع الذى نشره!.

المعلق الساخر:

كتاب التعليق السـاخرون يحرصون على اقتطاع جملة أو جزء من المقال ويعلقون عليه بطريقة ساخرة، قد تكون لطيفة ومقبولة فى بعض الأحيان، لكنها تصل أحياناً إلى درجة الاستهزاء والتجريح.. كأن تقرأ تعليقاً يقول صاحبه لكاتب الموضوع "الأحسـن لك تبحث عن شغلانة أخرى"، "أنت أصلا بتسـرح بعربيـة بطاطا"، "مش انت اللى عندك عربية كبدة فى الحتة الفلانية"، وكذا حتى نصل إلى السـباب والشتيمة المباشرة.

المعلق المعلن:

وهذا النوع من كتاب التعليقات يدخل فى أى موضوع لا ليعلق على مـا جـاء فيه أو يتفق أو يختلف مع صاحبه، ولكن كى يعلن عن سـلعة

يبيعها ومركز يفتتحه أو نوع موبايلات أو محل أو شقة يريد أن يبيعها أو يشـتريها، أو عن موقـع له على الإنترنت، وبعضهـم يدخل ليكتب بعض الأحاديث النبوية أو الجمل والحكم المأثورة، دون أن يكون لذلك أية علاقة بالموضوع المطروح للمناقشة.

المعلق الهوائى أو الاستهوائى:

وهو كاتب التعليق الذى يستهويه تعليق آخر لأحد متصفحى الوقع، فيقوم وبالتعليق على ذلك التعليق الذى أعجبه أو حتى اسـتفزه، وتسير بقية اتعليقات الأخرى فى نفس الاتجاه، ويتحول النقاش من الموضوع الأصلى إلى موضوع فرعى، وقد يتحول إلى نوع من تبادل السـخرية وأحياناً الشتائم بين متصفح وآخر، أو نوع من الغزل العفيف والصريح أو استعراض العضلات!.

مصري في الصحافة السعودية!

لا صحافــة حقيقية بدون حرية ، والقلــم المرتعش لا يصدق ولا يبــدع، ومع ذلــك فصحافتنا في ظل كل المعوقــات التي يعاني منها الصحفيون وغيــاب حرية تداول المعلومات، افضل مليون مرة من صحافة دول اخرى شــقيقة ، وقد كانت لي تجربة عملت من خلالها لمدة خمس سنوات في احدى الصحف السعودية ، رأيت فيها العجب ، فمهنــة الصحفي لم تســتقر هناك كمهنــة ذات حيثية واعتبار حتى الان ، لذلــك تجد كثيرا مــن المحررين يعملون بالاســاس في مهن أخــرى ، وخصوصــا التدريس ، وبعضهم موظفــون في الادارات التعليمية و المستشفيات.

وأذكــر أن محررا من هؤلاء ، وكان مراســلا لإحــدى الجرائد المحليــة في مدينة مــن مدن المنطقة الغربية بالمملكة اســتغل عمله كموظف في مستشفى للأمراض العقلية وقام بتصوير المرضى وهم يعذبونهم ويرشونهم عرايا بخراطيم المياه ، ونشر الصور بالجريدة فقامت الدنيا ولم تقعد ، ليس لكشف كارثة تعذيب المرضى النفسيين ولكن لنشــر الصور، وكاد المحرر ان يفصل او يســجن لولا تدخل مسئولين كبار لانقاذه .

وحـدث اثناء عملي هنـاك ايضا ان تم اقالة رئيس تحرير الصحيفة السـعودية التي كنت أعمل بها، لانه تجرأ وسـمح بنشـر قصيدة تنتقد القضـاه ، فاتصل به مسـئول مهم جدا في وزارة الداخلية السـعودية ، وقـال لـه " اقلب وجهك..لـم اوراقك وارحل" ، واذكـر كذلك ان أحد مديري التحرير بالجريدة ، وكان يشـغل فـي نفس الوقت وظيفة مدير مدرسـة ابتدائيـة ، ويداوم في المدرسـة صباحا ، ويأتـي للجريدة بعد الظهر ليعذب المحررين بملاحظاته ، رغم انه لم يكتب في حياته خبرا ، ولـم يدبج بقلمه مقـالا . وبالطبع كان يكتب له المقـالات القليلة التي كانت تنشر باسمه وصورته صحفي مصري يعمل بالجريدة مرتبه يقل عشر مرات على الاقل عن مرتب سيادة مدير التحرير.

وهنـاك عرفت لاول مـرة ان رئيس التحرير ونوابـه ومديروه لا يشـترط ان يكتبوا شـيئا ، وعليهم فقط ان يصـدروا الاوامر ويقبضوا المرتبـات العاليـة " بدون عمـل ".. والصراع هناك اكبـر بكثير من الصـراع الذي يـدور في كواليس الصحافة عندنا لان حجم المكاسـب اكبـر ،ويكفـي ان تعرف مثـلا ان مدير عام المؤسسـة الصحفية التي اتحدث عنها كان يتقاضى "منذ ٩ سـنوات" مائتي الف ريال في الشهر ، وان رئيـس التحرير كان يتحصـل على مايقرب من ٨٠ الف ريال ، وهو في الاصل حاصل على دكتوراه "مضروبة" في التسويق وقضى سنوات طويلة في العمل بقسم العلاقات العامة في شركة لانتاج الزيوت قبل ان ينتقل للعمل بقسـم التسـويق بالجريدة ثم يتولى رئاسة تحريرها بعد الاطاحة برئيس التحرير اياه ناشـر القصيدة! ورغم ان الصحافة السـعودية ليسـت مملوكة رسـميا للدلة او لاي هيئة تمثلها ، الا انها لا

تستطيع ان تكتب حرفا واحدا ضد السياسة العامة للاسرة المالكة ، ولو تجرأ احد الكتاب وتجاوز الخط الاحمر فمصيره معروف ، ولا يختلف عن مصير الصحفية السعودية التي سجنوها لانها كتبت مقالا تطالب فيه بالسماح للسيدات بقيادة السيارات ، ومع ذلك فهم يقولون إن مساحة الحرية زادت ، بدليل أن الصحف السعودية لم تعد تتعامل مع الاخبار التي تأتيها من وكالة الانباء الرسمية " واس " على انها نصوص مقدسة كما كان يحدث من قبل.

ولا أتمالك نفسي من الضحك كلما تذكرت مستشار رئيس تحرير الجريدة السعودية التي كنت أعمل بها وهو يتباهى في اجتماع عام بأنه يستطيع تغيير صياغة الخبر الذي يأتيه من الوكالة فيكتب "أرسل" بدلا من "بعث" – والله العظيم هذه واقعة حقيقية –وهم يدعون أيضا أنهم يمتلكون الآن جرأة اكبر في اختيار موضوعات التحقيقات الصحفية، ويستشهدون على ذلك بتحقيقات من نوعية ضرورة منع عرض الملابس الداخلية للنساء في الفاترينات ، او خطورة " العباءات " المحزقة على اخلاق الشباب والبنات..أما الحرية الاكبر فهي في نشر اخبار الحوادث والجريمة ، فلا تخلو صحيفة سعودية يوميا من خبر أو أكثر حول اكتشاف شبكة دعارة دولية ، وتنشر الصحف هناك صور العاهرات المقبوض عليهن، ومعظمهن من اندونسيا والفلبين والحبشة، دون ان تتعرض من قريب اوبعيد للطرف الاخر في الجريمة.

ويلي هذا النوع من الاخبار في التكرار والانتشار اخبار انتحار عمال معظمهم اسيويون واغلبهم من بنجلاديش شنقا او حرقا او غرقا

، ويعزى السـبب غالبا الي الجنون او المرض النفسـي ، وليس لسوء المعاملـة أو لقيام الكفيل بتعذيب مكفوليه او اضطهاد سـيدات المنازل للخادمـات والعمالـة الوافدة ، وهذا هو التعبير الذي يسـتعملونه هناك لوصـف غير المواطنين .. فهم جميعا حكامـا ومحكومين معصومون من الخطأ ولا جرائم او شرور في بلادهم سوى من العمالة الوافدةَ!

فخ الكتابة اليومية

كتابــة العمود اليومى من أصعب فنون الكتابة الصحفية.. ورغم مئــات الكتــاب الثابتين الذيــن يواظبون علــى الكتابــة اليومية فى عشــرات الصحف الحكومية والخاصــة، إلا أن المعروف والمؤثر منهــم، عددهــم محــدود للغاية.. كان أشــهرهم حتى ســنوات قليلة مضت الراحلان ســلامة أحمد ســلامة وأنيــس منصور، بالاضافة إلــى صلاح منتصر ومكرم محمد أحمد، وفهمى هويدى ، والراحل مجدى مهنا فى ''المصرى اليوم''،.. وزمان كان الكاتب السياســى محمد حســنين هيكل والراحل العبقرى أحمــد بهاء الدين وصاحب ''فكــرة'' مصطفى أمين، وجلال الدين الحمامصى هم أفضل كتاب المقال اليومى.

وصعوبــة كتابة العمود الصحفى اليومــى تكمن فى الحفاظ على السخونة والتقاط فكرة جديدة وجريئة كل يوم.. والقدرة على التعبير عــن الأحداث الجارية والقضايا الملحة بطريقة عميقة وبســيطة فى نفس الوقت ومختصرة جدا وفى مســاحة صغيــرة للغاية.. ويروى عن الزعيم الراحل سعد زغلول أنه كتب خطابا مرة لأحد أصدقائه، قال له فى آخر ســطر فيه: ''أعتذر عــن الإطالة، فلم يكن لدى وقت للاختصار''!.

والمقارنــة بين العمــود الصحفى ومقال الرأى، مثــل المقارنة بين الرواية والشــعر، فالرواية هى فن الســرد والوصف، والشــعر هو فن الإيجــاز والتعبير عن الفكرة العميقــة والصورة الموحية بأقل عدد من الكلمات، وفى ظل قيود الوزن والقافية والبحر والتفعيلة, وكذلك كاتب العمــود الصحفى، فهو مطالب بأن يعبر بســرعة وبأســلوب تلغرافى رشــيق عن رأيه فى قضية أو موضوع أو حدث يســتلزم شــرحه فى عشــرات الصفحــات فى كلمات قليلة، وباختصار عير مخل، وبشــكل غير مباشر، وبحيث لا تهرب منه الفكرة أو يخونه التعبير.

والحقيقــة أن اللبنانييــن أشــطر كثيرا منــا فى هذا الفــن الصحفى الصعــب، ويكفى أن تقرأ مثــلا لـ"جهاد الخازن" أو حازم صاغية، أو غسان شربل فى الحياة، وتقارنهم بكتاب أعمدة مصريين، حتى تعرف الفرق فورا بين الكاتب المحترف والكاتب الدخيل.

والمشــكلة هنا ليســت فى أن معظم كتاب الأعمدة من المحســوبين على النظام أو الحكوميين.. فلقد كان الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل حكوميــا ورئيس تحرير أكبر صحيفة حكوميــة، وكان يدافع عن نظام عبدالناصــر، ويبرر له أخطاءه وإخفاقاتــه ويهاجم خصومه وأعداءه، لكنــه كان يكتب بوعــى وحنكة وحرفية صحفيــة، ويرتكن إلى حقائق ومعلومات يوجهها كما يشــاء، ولمصلحة من يكتب من أجله.. ولم يكن يهبط أبدا إلى مســتوى التهليل والتطبيل ، أو "الردح" أو الشــتائم التى ينزلــق إليها كتاب هــواة أو محدودو الموهبة والثقافــة، أصبحوا فجأة رؤساء تحرير وقادة رأى.

فالسر فى الصنعة والحبكة وليس فى التوجه أو الهدف من الكتابة.. كـن حكوميا كما تشـاء.. أو كـن معارضا كما تريد وضـد من تريد.. لكـن يجب أن تكون فى كل الأحوال موهوبـا ومثقفا حتى تقنع القارئ وتكسـب ثقته وتؤثر فيه، ليحرص على أن يقرأ لك كل يوم، حتى وإن لم يكن متفقا مع بعض أو كل ما تكتب من أفكار.. وأذكر جملة قالها لنا الكاتـب الصحفى الكبير الراحل صـلاح الدين حافظ، حين كان يدرس لنـا مادة المقـال الصحفى فى كليه الإعلام، ويطلـب منا أن نقيم كتاب الأعمـدة الصحفية، حيث قـال لنا عن أنيـس منصور:"أنا لا أحب ما يكتبه أنيس فى "مواقف"، ولكنى لا أستطيع أبدا أن أتجاوز قراءته"!

افضحوهم.. يرحمكم الله!

أين التليفزيون من قضايا الفساد فى مصر .. ولماذا لا يقوم بدوره التوعوى والرقابى، ويحفز الناس من خلال خط ساخن للإبلاغ عن اللصوص والمرتشين فى كل موقع وفى أى مكان، للقبض عليهم فوراً وعلى الهواء مباشرة حتى يكونوا عبرة للآخرين، خاصة وأن الفضيحة و"التجريس" أمام ملايين المشاهدين، ربما ستكون عقابا أكثر من الغرامات والعقوبات التى يفرضها القانون على الغشاشين والمتلاعبين بقوت الناس ومستقبل الشعب..ولديهم من المحامين المحترفين من يمكنونهم من الهروب غالبا من العقاب الذى يستحقون.

ولماذا لا تتصدى برامج "التوك شو"، ذات الشعبية والجماهيرية الكاسحة للقيام بحملة من هذا النوع تشجع الناس على التخلى عن السلبية، بعد أن وصل الأمر إلى درجة الظاهرة، وانتشر الفساد كالسرطان لينهش جسد الوطن، ويفقد الأجيال الجديدة الثقة فى الحاضر والمستقبل، ويشيع بين الجميع حالة من الإحباط، وفقدان الإحساس بطعم الحياة.

فالفساد أصبح بشهادة كبار المسئولين أنفسهم يعم البر والبحر.. وجرائم الرشوة أصبحت تحتل مانشيتات الصحف بطريقة شبه يومية..والمسألة أصبحت قضية أمن قومى .. نعم أمن قومى .. وماذا

يمكـن أن يكون لدينا أهم من غذاء الناس وثروات الوطن التى تهدر وتنهب وتسرق جهارا نهارا وعلى عينك يا تاجر؟!

ولمـاذا لا يسـتغل مقدمـو هذه البرامج شـعبيتهم لـدى قطاعات عريضة من الناس، ليقودوا هذه الحملة لكشف وفضح مافيا الاستيلاء علـى أراضى الدولة والتعديات على النيل وتجار الدقيق المسـروق والأغذيـة الفاسـدة والأدوية المغشوشـة والدم الملوث والأعشـاب الضـارة والأجهزة الكهربائية مجهولة المصدر .. لماذا لا نعد قائمة سوداء بأسماء من يتم القبض عليهم من هؤلاء وتثبت إدانتهم، ونعلن بعضها كل يوم على شاشـة التليفزيون، لعلهم يخجلون من أنفسـهم بعـد أن تلاحقهـم الفضيحة، ولعـل غيرهم يرتدعـون ويتراجعون عـن التلاعب بأقوات الناس ..ولماذا لا يشـارك دعاة ناجحون مثل مصطفى حسـنى، ومعتز مسعود، وغيرهم كثيرون، فى هذه الحملة ويتبنونها هم الآخرون.

وأيـن الجمعيـات الأهلية من هـذا كله؟ ..ومتى تتوقف سـيدات المجتمع عن عقد المؤتمرات والندوات عن الجوع والفقر والمرض فـى الأنديـة الفخيمة وفنادق الخمس نجـوم؟.. وهل يمكن أن يحدث المسـتحيل وتتعطـف وتتنازل الهوانـم بالنزول إلى الشـارع بدون "بروباجنـدا " ..ولا تصويـر.. ولا صحـف ولا فضائيـات، لتقديم خدمة أى خدمة حقيقية للناس، ولو بتشجيع أزواجهن من المسئولين الكبار على القيام بأدوارهن التى يقبضن عليها رواتبهن للحفاظ على ما تبقى من ثروة هذا الوطن؟!.

إعلام "الأجندات" .. والنتائج!

قبل أن نتسرع فى توزيع الاتهامات «عمال على بطال» ووصف بعض أصحاب الفضائيات الخاصة بالفلول وأصحاب الأجندات، ووصم مذيعيهم وبرامجهم بالدعاية المغرضة ومحاولة تهييج الرأى العام وزعزعة الأمن والاستقرار فى فترة انتقالية صعبة وحساسة، لابد أولاً من وضع ميثاق شرف إعلامى يضع النقاط فوق الحروف، ويحدد المناطق المحظورة والشائكة، ويوصف بدقة المسموح به والممنوع الكلام فيه، ليس لحماية أحد أو التستر على مسئول مهما بلغ شأنه، ولكن للحفاظ على الأمن القومى والابتعاد عن لغة التسخين والإثارة الإعلامية التى قد تحشد الجماهير فى اتجاه عكس مصلحة الوطن.

ويستلزم لإصدار هذا الميثاق صدور قانون جديد للإعلام يلزم أصحاب الصحف والقنوات التليفزيونية الخاصة بتوقيع مصادر تمويل الإصدارات والفضائيات وأسماء المساهمين فيها، وما إذا كانت تتلقى تمويلاً داخلياً أو خارجياً ومن أية جهة ولماذا.

أما الجرائد والقنوات التى صدرت بالفعل فالمطلوب من أصحابها تبرئة ساحتهم، والتعامل بشفافية مع المشاهد حتى نعرف لماذا تُنفق كل هذه الأموال فنوقت ركود اقتصادى وشح فى الإعلانات، وما الداعى لتحمل أصحابها كل هذه الخسائر، فى نفس الوقت الذى ينفقون فيه

ببـذخ واضح على الديكورات والمنشـآت والتجهيزات وأجور المذيعين والفنيين والإداريين العاملين فى تلك الوسائل الإعلامية؟!، وماهو السر وراء تسـابقهم المحموم فـى الإعلانات فى قنوات جديـدة، بينما تصفى القنـوات الموجـودة والراسـخة منذ سـنوات أعمالها وتقلـص فى حجم وجودها بسـبب التراجع الشديد فى حجم الإعلانات بعد ثورة ٢٥ يناير. ورغـم أن هـذه المطالب تبدو بديهية، وتمت مناقشـتها مـن قبل مرات عديدة، وصدر بعضها فيما يسـمى بميثاق الإعـلام العربى، فإن الجديد هذه المرة هو المناخ السياسـى والإعلامـى المختلف، والذى ينأى تماماً يطالب بضبط إيقاع وسائل الإعلام و«فرملة» بعض التوجهات المتهورة وغير المسئولة فيها عن شعبة خدمة مصالح النظام والهجوم على أعدائه ومعارضيه، لأن النظام سـقط بالفعل، والمطلوب الآن هو حماية الثورة من السقوط والانحراف عن الاهداف الحقيقية التى قامت من أجلها.

ولذلـك فإن شـهادتنا غير مجروحـة ومقصدنا غير مشـكوك فيه، وهدفنا فقط هو تنقية الوسـط الإعلامى من بعض اللاعبين بالنار الذين يخدمـون بقصد أو بدون قصد - جهات ودولاً لاتريد لنا الخير ولاتريد لثورتنا النجاح.

ونحـن الآن أحوج مانكون إلى إعـلام عاقل وموضوعى ووطنى، يبتعد بقدر مايسـتطيع عن الإثارة وشـهوة السبق، ويضع مصلحة هذا الوطن فى المقدمة، فاللاعبون على السـاحة كثيرون، والأمور ملتبسة والمقاصـد غامضـة، والاعداء يتربصـون بنا فى الداخـل والخارج، وعلينا جميعاً أن ننتبه إلى من يريد أن يستغل دعاوى الحرية والشفافية وكشف المستور لزعزعة استقرارنا والعبث بأمننا.

حرية بأوامر عليا!

بعد حرب 67، صدرت أوامر عليا للرقابة على المصنفات الفنية بعدم استخدام مقص الرقيب فى حذف المشاهد الإباحية والرقصات الخليعة ومشاهد العرى وتعاطى المخدرات من الأفلام، وكانت السينما المصرية وقتها قد توقفت مؤقتاً بسبب الهزيمة، فخرج عدد كبير من الممثلين والممثلات وصانعى الأفلام إلى بيروت، وصوروا أفلاماً هى الأسوأ فى تاريخ السينما العربية، سواء من حيث المستوى الفنى أو الانحطاط الفكرى أو مساحة الابتذال والعرى والمشاهد الجنسية والقصص التافهة، ثم عادوا إلى مصر لاستكمال المسيرة بسلسلة من أفلام الجنس والرقص والمخدرات، شاركت فيها الفنانة المعتزلة شمس البارودى بنصيب الأسد، ومعها نجلاء فتحى وميرفت أمين وسهير رمزى ونيللى وشويكار ونوال أبو الفتوح.

وظهر اسم الممثلة ناهد شريف بكثرة فى هذه الأفلام التى كانت تظهر فيها شبة عارية، ولم ينافسها سوى ممثلة أخرى هى ناهد يسرى بطلة الفيلم الشهير " سيدة الأقمار السوداء"، مع الراحل عادل أدهم، والممنوع عرضه حتى الآن فى الفضائيات وقنوات السينما.. وقالت مديرة الرقابة على المصنفات الفنية فى ذلك الوقت السيدة اعتدال ممتاز فى كتابها "30 سنة رقيبة سينما" إن القيادة السياسية وقتها

هى التى أصدرت هذه الأوامر بعدم حذف مشـاهد العرى والمخدرات والعنف من الأفلام.

وطبعاً ..كان الهدف من هذا التوجيه هو إتاحه الفرصة أمام الشعب والجيش المهزوم لإغراق أحزانه فى كل ما يغيب الوعى وينسى الناس مرارة الإحسـاس بالهزيمة.. لكن الغريب أن هذه التعليمات عادت مرة أخـرى الآن فـى صـورة تجاهل تام لـكل المحاذير الرقابية السـابقة، وخاصـة على مـا يعرض على شاشـة التليفزيون الرسـمى والقنوات الأرضيـة، ويكفـى أن تراجع كم مشـاهد تعاطى المخـدرات وتدخين الشيشـة وشرب الخمور فى مسلسلات رمضان خلال الأعوام الخمسة الماضيـة، لتعلم إلى أى حـد أصبحت رقابة الدولة متسـامحة مع مثل تلك الأشياء التى كانت محظورة وممنوعة، حتى سنوات قليلة مضت، فظهـور الراقصات والرقصات الشـرقية كان ممنوعاً فى الأفلام التى يعرضها التليفزيون، وكان يتم حذف تلك الرقصات من الأفلام القديمة والجديدة عند عرضها على شاشـة التليفزيون، والآن المسلسلات كلها زاخرة بمشاهد الرقص والخمور والمخدرات.

بـل ووصـل الأمر بمسلسـل عُرض علـى أكثر من قنـاة أرضية وفضائية أن يناقش بوضوح تام العادة الشهرية عند المرأة، وأن يظهر بقعـة من الدم على " جيب" فتاة حاولت إجهاض نفسـها بتعاطى دواء معين، وفشـلت فـى التخلص من حملها السـفاح، وهـذه موضوعات جريئـة وجديدة أيضاً على دراما التليفزيون، وهى تناقش الآن بحرية كاملة وبألفاظ واضحة وصريحة.

ونحن بالمناسبة لسنا ضد ذلك، فهناك أمور كثيرة مسكوت عنها فى المجتمع يجب أن تتعرض لها الأعمال الدرامية وتناقشها وتعريها وتكشف جوانبها الخفية عن الناس، وتحذر الشباب من الوقوع فيها، لكن ذلك لابد أن يتم فى حدود اللياقة، ولابد أن يراعى حرمة اقتحام البيوت بالتليفزيون، ومستوى فهم المتلقى، كما يراعى آداب المجتمع العامة، واحتمالات إثارة غضب فئات كثيرة من الناس ترفض هذه الحرية غير المسئولة، وقد يؤدى إلى تطرف على الجانب الآخر.. وإذا كانت نكسة ٦٧ هى التى دعتهم للسماح بذلك، فما الذى يدعو المسئولين عن الإعلام الآن لانتهاج نفس السلوك.. مجرد سؤال برئ!.

مناضلون خمس نجوم!

"جيفارا مات.. يا بتوع نضال الخمس نجوم فى العوامات" .. صدقت يا شاعر وصدقت نبوءتك.. فقد تحول النضال التليفزيونى يا عم أحمد فؤاد نجم "رحمة الله عليك"، إلى سلعة رائجة ومصدر مهم للكسب فى زمن الفضائيات الجوانية والبرانية، والبرامج التى تتسابق على استضافة أهل الكلام فى السياسة والدين بنفس درجة حماسها للفنانين والراقصات وبنفس الأجور فى مقابل تسجيل البرامج والحوارات معهم وربما أكثر.

ومناضلو الفضائيات الجدد ليسوا فقط من نجوم الشعر والأدب،إنهم كذلك شيوخ بعضهم من أصحاب العمائم، ومعظمهم دعاة "السموكن" والجينز، وأحدهم صرح لصحيفة أنه يمتلك 3 سيارات مرسيدس ويعلم أولاده فى مدارس بريطانية.. وهم أيضا سياسيون قدامى أخرجتهم الفضائيات من تحت أنقاض التاريخ ونفضت عنهم التراب وطلبت شهادتهم على عصور كانوا فيها مجرد "كومبارس" وكثير منهم من الوجوه الجديدة التى لا يمكن أن تراها سوى فى برامج النضال الفضائى، ويتم تقديم هؤلاء النجوم من المناضلين الجدد على أنهم باحثون وكتاب وخبراء استراتيجيون!

أما مناضلو الخمس نجوم من الصحفيين، فأجورهم فى الفضائيات

أعلــى بكثيــر من أرقــام توزيــع صحفهــم، ولا أحد يختلــف على أن الفضائيــات نعمة كبيرة، وأنها فتحت للناس آفاقــا جديدة، وأنقذتهم من احتكار.. بل وأحيانا احتقار التليفزيونات الرسمية لعقولهم، وبالتأكيد فإن الحديث فى برامجها من عيوب السياســة وأخطاء الحكومة وتجاوزات المســئوولين وما يحدث فى الشــارع أو يجرى فى الكواليس ليس عيبا أو حرامــا.. لكــن العيب هو أن يكون النقد من أجــل النقود، وأن يكون النضال مدفوع الأجر مســبقا أو لاحقا، أو أن تكون الأفعال والصراخ وقتيــا أو ينتهى بمجــرد أن يقول مخرج البرنامج ''ســتوب'' فيتصافح الأضــداد ويتعانقون بعد أن أدى كل منهم دوره ببراعة، ثم يتســابقون على مدير الإنتاج لاستلام ''الشيك''.

إعلام من اتجاه واحد

منظمات الصحافة الدولية تنشر تقارير سنوية عن الصحفيين الذين قتلوا أو اختطفوا أو سجنوا أو تعرضوا لمخاطر مختلفة فى مناطق الأحداث الساخنة، ومعظمها يقع فى نطاق ما يسمونه بدول الشرق الأوسط، أوفى دول إسلامية من باكستان إلى أفغانستان ومن الشيشان إلى الصومال، وقد زادت هذه التغطيات والمخاطر مع ربيع الثورات العربية، ومع ذلك فمن النادر أن يقع بصرك على اسم إعلامى أو مراسل مصرى «لا قدر الله» بين أسماء أولئك الصحفيين الذين يعملون تحت أصوات قصف القنابل وطلقات الرصاص، وذلك لأننا نكتفى غالباً بتلقى الأخبار والتقارير المصورة من وكالات الأنباء ومحطات التليفزيون العالمية، ثم نعود لنتهمها بالتحيز وعدم التوازن فى نقل الحقائق وبث الأخبار. وقد حدث بالفعل تطور مهم فى مستوى التغطية التليفزيونية العربية للأحداث المهمة خلال السنوات العشر الأخيرة، وخاصة بعد إطلاق قناة الجزيرة وانفرادها بالساحة لفترة ثم دخول قنوات منافسة لها على الخط مثل العربية ودبى وأبو ظبى، واشتعال المنافسة أكثر وأكثر بتوجه كبرى دول العالم لاطلاق قنوات فضائية إخبارية ناطقة باللغة العربية تقدم الأحداث من وجهة نظرها وتوجه الحوارات والنقاشات فى البرامج إلى الوجهة التى تخدم مصالحها،

ففـى الوقت الـذى تلاحظ فيه هجومـا عنيفا على القذافـى فى قنوات مثل «فرانس ٢٤» و«البى بى سـى» تجد تغطية متوازنة وتحذيرات من تقسـيم ليبيا فـى قناة مثل «روسـيا اليوم»..كل ذلـك والتليفزيون والمحطات المصرية بعيدة كل البعد عن هذا السباق وغير قادرة على التأثير أو المنافسة.

وإذا كانت الحجة قبل الثورة هى سـطوة الرقابة وانخفاض سـقف الحرية، وخاصة فى القنوات الرسـمية، فما هـى الحجة الآن بعد أن أصبـح الاعلام الحكومى ينافس الإعلام الخاص فى درجة السـخونة التـى قد تصـل أحيانا إلى عدم مراعـاة الدقة والمهنية والاسـتعجال الشديد فى إذاعة الأخبار؟!.. ما هى الحجة الآن فى التراجع المستمر لمسـتوى التليفزيـون المصـرى، رغم وجود كوادر جيـدة وخبرات كبيرة لدينا تختطفها المحطات الأخرى ولا نولى لها نحن القدر الكافى من التقدير والاهتمام؟ وهل يمكن أن يحل تعيين اللواء طارق المهدى هذا اللغز وينجح فى فك شـفرة الفتـور الواضح الذى يمارس به أهل التليفزيون عملهم؟

وكلنا يعلم كيف يسيطر اليهود على أجهزة الإعلام العالمية، وكيف يستخدمون منذ سنوات طويلة الآلة الإعلامية الجهنمية لتشويه الحقائق ولـى ذراع الوقائـع والأحداث لخدمة إسـرائيل والدفاع عـن مواقفها العدوانية، وتبرير ممارساتها الوحشية. لكن قبل أن نتحدث عن التدفق غيـر المتـوازن للأخبـار والمعلومـات، أو عـدم الموضوعية وعدم مراعـاة قيم المهنية وفقـدان المصداقية والانتقائية الشـديدة فى اختيار

التقارير التى تنقلها وكالات الأنباء ومحطات التليفزيون الغربية وتسئ لنـا ولقضايانـا العادلة، يجب أن نعالج أولاً القصـور الواضح فى أداء الاذاعات والقنوات المصرية الحكومية والخاصة والضعف الشديد فى مهنيتها ومسـتوى القائمين عليها بسبب تشبعهم بمناخ القهر والسيطرة الرسـمية عليهـا، وتعودهم على الرقابة الذاتية التـى تربوا عليها رغم تغيـر المفاهيم والأوضاع بطريقة دراماتيكية لم يسـتطيعوا حتى الآن اسـتيعابها. فهل سيأتى قريبا اليوم الذى نستطيع نحن أيضا فيه أن نقدم برامج جذابة ومادة إعلامية قادرة على المنافسـة فى فضاء الفضائيات الفسـيح؟ وهـل آن الأوان لكى نسـوق بضاعتنا فى الداخـل والخارج ونحسـن التعبير عن سياساتنا ووجهات نظرنا، بدلا من الاكتفاء باتخاذ موقف المدافع عن النفس أو الناقل عن الآخرين..أتمنى.

المرأة رئيسًا للتحرير!

فيما عدا مجلات المرأة والطبخ والأزياء والديكور ورئيسة تحرير جريدة "الأهالى" الناطقة باسم حزب التجمع فريدة النقاش.. ليست هناك أى صحفية فى مصر تتولى منصب رئيس التحرير فى أى صحيفة أو مجلة، سواء كانت قومية أو حزبية أو مستقلة!..فى الوقت الذى تتولى فيه سيدات الآن حقائب وزارية فى الحكومة، بل وفى الوقت الذى تكسب فيه المرأة المصرية كل يوم أرضا جديدة فى طريق الحصول على حقوقها السياسية والاجتماعية، وتتزايد فيه نسبة النساء العاملات فى مجال الإعلام المرئى والمسموع، وتتولى فيه سيدات رئاسة أكثر من قناة محلية وفضائية.

كما أن معظم عميدات كليات ومعاهد الإعلام الحكومية والخاصة أيضا من النساء، وتظل الصحافة المقروءة وحدها هى الاستثناء، وتولى المناصب القيادية فيها مقصور فقط على الرجال، وهذا ما تؤكده التعديلات الصحفية الأخيرة، وليس فيها أى سيدة، وحتى نقابة الصحفيين نفسها، لم تشهد طوال تاريخها سوى فوز صحفيات قليلات بعضوية مجلس النقابة ، وطبعا النقيب دائما وأبدا رجل!.

والحقيقة أن تراجع مكانة المرأة فى الصحافة المصرية لا يقتصر فقط على استبعادها من تولى المناصب القيادية، وخاصة موقعى رئيس

التحريـر ومدير التحريـر المؤثرين، لكنه يمتد أيضا ليشـمل التراجع الملحوظ فى عدد الكاتبات الصحفيات، وبخاصة من تهتم منهن بالكتابة السياسـية، فلم يعد لدينا من الكاتبات السياسيات البارزات والمعروفات سـوى سـكينة فؤاد فى ''الأهرام'' وسناء السـعيد فى ''الأسبوع''، مع الاحتـرام الشـديد لأسـماء أخرى تواظـب على الكتابة فـى الصحف الخاصة والمستقلة، ومعظمهن من المذيعات وأستاذات الجامعة وكلهن كاتبـات مجتهـدات وجيدات، لكنهـن لا يمكن مقارنتهـن بكاتبة قديرة مثل الراحلتين د.نعمات أحمد فؤاد، التى طالما فجرت قضايا سياسـية وثقافيـة وقادت حملات صحفية جريئة، أو أمينة السـعيد المدافعة عن حقوق المرأة.

ولا يمكـن مقارنـة أى كاتبة صحفية الآن أيضا سـواء فى القامة أو القيمـة بأسـماء كتاب رجال مثل صلاح منتصـر أو مكرم محمد أحمد، فضلا طبعا عن عملاق الصحافة العربية محمد حسنين هيكل، ولا يمكن حتى مقارنة أسـماء الكاتبات الموجودات بأسماء كتاب من أجيال أصغر.

فما هو السـبب فـى هذا التناقض الغريب بيـن تنامى حرية التعبير وزيـادة أعـداد الصحـف وبين تناقـص أعـداد الكاتبـات الصحفيات المجيدات؟..ولمـاذا لم يعينوا سـيدة على الإطلاق فـى منصب رئيس التحريـر لأى مطبوعـة قوميـة أو معارضة أو حتى مسـتقلة أو مجلة أسـبوعية غير نسائية؟..وماذا ينقص الصحفية حتى تصل إلى مستوى الرجل؟..أسئلة لا تزال تبحث عن إجابة!

الفصل الخامس:
كـــلام ثقـــافي

مؤلف لكل مواطن

كان لنـا زميل كثير الكتب، لدرجة أن عامـل البوفيه قال له أمامى مرة.. جرى إيه يا أستاذ.. أنت بتضيع وقتك فى الكلام.. ما تطلع تعمل الكتـاب بتاع النهـاردة.. والحقيقة أن كتبه كانت مـن النوع الذى يمكن أن تطلـق عليه الكتب الصحفية.. يعنى تحصل مأسـاة العبارة الغارقة فيؤلـف كتاباً فورياً عنها، أو يقبض على رجل أعمال شـهير فيتحفنا بكتاب مثير عنه، أو تسـقط طائرة ركاب فى ظروف غامضة، فيؤلف عنها كتاباً وهكذا.. وهذا النوع من الكتب معروف فى أمريكا والغرب، ويحقق أرقام مبيعات كبيرة، مثله مثل نوعية كتب التجارب الشخصية والسـير الذاتية للمشـاهير وغير المشـاهير.. ولا أحد يكره أن يتشجع الهواة ليؤلفوا كتباً.. لكن يجب أن يكون لديهم الحد الأدنى من الموهبة، وألا يصبح دافعهم الوحيد للتأليف والتوليف هو أن"يلطعوا" أسـماءهم الكريمـة علـى مجموعة من الأوراق بين غلافين ثم يسـمونها كتاباً.. وسـوق الكتب عامرة هذه الأيام بتلـك النوعية.. وكل من يملك ألف أو ألفيـن جنيه يدفعهم فرحاناً لصاحب دار نشـر، ويصدر له كتاب خلال أيـام قليلة، وكلما التقيت صديقا الآن يسـألنى عـن صحتى ثم يعطينى نسـخة مـن كتابه الجديد، وأذكـر أن زميلا آخر لى قـال مرة للزميل "المؤلفاتى" الذى حدثتكم عنه فى بداية المقال.. يا أخى أنا مش ملاحق

عليـك إهداءات.. إزاى انـت ملاحق علينا كتابـة.. فالموضوع أصبح أسـهل من شكة الدبوس، وكل من أمسـك ورقة وقلما يريد أن يصدر كتابـا ، وطبعـا هذا ليس عيبا ومـن حقه، لكن هذا الزحام الشـديد فى الكتاب أصبح يشبه كثيرا زحمة أهل المغنى، وكما أصبح لدينا مطرب ومطربـة لكل مواطن، لدينا الآن مؤلف كتب لكل قارئ، والنتيجة هى ضياع المواهب الحقيقية وأصحاب الأفكار الجادة والمحاولات الجدية، وسط هذا الزحام والتزاحم على إصدار الكتب.

والأغرب والأعجب أن حركة إنتاج النشـر فى رواج مسـتمر، فى حين أن حركة القراءة فى تراجع دائم، وهو لغز من ألغازنا كمصريين ليـس لدىَّ تفسـير له سـوى أننـا أكثر شـعوب الأرض حبـاً للتباهى والفشـخرة، وإذا كنـا زمان نشـترى الكتب ونرصها فـى المكتبة ولا نقرأهـا لمجـرد أن نتباهى بأننا مثقفون ولدينـا مكتبات ضخمة وأعداد هائلـة من الكتب فى بيوتنا، فإننـا نتباهى الآن بأننا من أصحاب الكتب ومن السادة المؤلفين.

وقل لى كم كتابا ألفت.. أقل لك كم دفعت لتحصل على لقب كاتب!.

الدائرة العبثية!

فـى كتـاب صدر منذ سـنوات بمناسـبة الاحتفـال بمئويـة جريدة الأهـرام.. رصدت الصحيفـة العريقة أهم القضايا التـى تناولتها على مدار قرن كامل.. والمفاجأة أن هذه القضايا بحذافيرها هى نفسـها التى نتحـدث ونختلف حولهـا اليوم.. وكأننا لم نتقدم خطـوة واحدة فى مائة سـنة.. وكأننا ندور فى حلقة عبثية مفرغة، نلف حول أنفسـنا.. وننقاد وراء صدفـة أو حادثـة عابرة أو تصريح صحفى أو فتوى دينية مثيرة للجدل، لنفتح ملفاً شائكاً أو مستهلكاً، وننسى أننا فتحناه وأشبعناه كلاماً ونقاشاً واختلافاً وجدلاً، ثم أغلقناه كما فتحناه فجأة، دون أن نتوصل فيه إلـى حل أو نتخذ فيه قرارا أو نأخذ فيه ولو خطوة واحدة جادة ومؤثرة لحسـم الجدل وقطع الشك باليقين.. وخذ عنك مثلاً قضية الدعم.. مادى أم نقدى؟ .. وهل يصل إلى مسـتحقيه أم يسـرقه تجار جشعون يثرون على حسـاب الشعب.. وخذ عندك.. تصريحات من مسئولين وتلسينات مـن معارضين وبرامـج فى الفضائيات، ومانشـيتات فـى الصحف، ونـدوات ولقـاءات، وبحث فـى الدفاتر القديمـة والجديـدة.. ثم تنفثئ البالونة وننسـى وننشـغل بقضية أخرى.. طوابير الخبـز مثلاً، فرغم أن الأزمـة فرع من فروع الموضـوع الأول وجزء منه.. وأقصد دعم الدقيق.. فإننا نتناسـى المسـألة الأصلية ونتجه نحو الأفران ومزارعى

القمح ومستورديه ونلعن أمريكا وأبوها.. ونستعيد من الذاكرة عبارات الكفاح القديم.. من لا يملك قوته لا يملك حريته.. ونتساءل لماذا لا نزرع القمح ونزرع البرسيم؟.. وأين أراضى سيناء المهملة.. وأين مشروعات الثورة الخضراء.. ثم نسكت فجأة، وننشغل بأزمة أخرى.. مياه الشرب غير صالحة.. حوادث القطارات.. اختناق المرور.. العلاقة بين المالك والمستأجر.. الضريبة العقارية.. الحجاب.. نقاب الممرضات.. أجور العمال.. الكادر الخاص.. تصفيات كأس العالم.. انتخابات نادى الزمالك.. ختان الإناث.. التغيير الوزارى.. الإساءة للرسول الكريم.. القمة العربية.. إسرائيل وفلسطين.. العراق.. لبنان.. جنون الأسعار.. بورصة العقارات.. الأصالة والمعاصرة.. وعشرات الأزمات والقضايا والملفات التى نخرج الواحدة منها من درج الذكريات ونظل نلف حولها فى رقصة إفريقية مجنونة.. ونقيم الزار ونطلق البخور.. ونرغى ونزيد.. ونطيل ونزيد ونعيد وننفعل ونصرخ ونبحث الفتاوى الجاهزة والمعلبة.. ثم نصمت فجأة ونعيد القضية إلى الدرج.. ونبحث عن موضوع آخر ننشغل به لفترة، ونعد بأننا سنتابعه ونراقب التوصل إلى حلول فيه.. وتتبخر الوعود وتضيع الأحلام وتتوه الكلمات.. وتقع مصيبة جديدة، فنرمى الملف الذى كنا نحتضنه أو نستبعده لفترة حتى نعود إليه من جديد.. وحتى يحين وقته، ووقته سيحين بالتأكيد لأننا لم نفعل به شئ سوى الكلام والمزيد من الكلام.. والسبب أننا لا نخطط لشىء، وإذا خططنا فأفكارنا تكون عادة رومانسية وحالمة ومغرقة فى التفاؤل.. والمصيبة أننا بلا أجندة وطنية ولا مشروع قومى، ولا تصور للمستقبل القريب أو البعيد.. ولذلك

أصبحنا مثل الترس الذى يدور فى الفراغ.. وبالتالى فهو لا يدفع خطوة واحـدة إلـى الأمام. ولا حل لنـا ولا أمل فى الخروج مـن هذه المتاهة "السيزيفية" العجيبة سوى أن نحدد أولوياتنا، ونحدد بالضبط ماذا نريد أن نفعل الآن قبل الغد.. ونرتب مشـكلاتنا الأهم فالمهم.. وإن اكتشـفنا –وهـذا طبيعـى– أن الأمور كلها مثل الأوانى المسـتطرقة لا إصلاح لأحدهـا بدون إصلاح الآخر، فلنتخذ قضيـة أو هدفا واحدا ونركز فيه الآن ونبحـث عن حلول حقيقية له، ونتابعـه بجدية، حتى نتأكد من أنه قـد تم إنجازه بالفعل ثم نبحث عن نقطة أخـرى لنبدأ منها وهكذا.. هذا العـام مثلاً قضيتنا هى الزراعة وبلاويها.. والعام القادم التعليم والثالث الصحـة والرابع الثقافـة.. المهم أن نضع عنواناً كبيـراً وهدفاً واضحاً نتجه إليه.. وبدون ذلك فليس أمامنا سوى الفوضى الكاملة.. وهى قريبة جداً بالفعل منا.. وربنا يستر!

الأرقام تكذب ونص

الأرقام لا تكذب.. مقولة كاذبة وخاطئة بل ومشبوهة أيضاً، واقرأوا معى الأرقام فى الصحف لتعرفوا أن هذه الجملة التى نتعامل معها على أنها بديهية أو قول مأثور، لا أساس لها من الصحة ولا محل لها من الإعراب.. وخذ عندك على سبيل المثال لا الحصر.

20٪ من المصريين مرضى بالسكر.. وثمانية ملايين مصرى مرضى بفيروس الالتهاب الكبدى الوبائى، و50٪ من المصريين مرضى بضغط الدم المرتفع والمنخفض، و60٪ من المصريين مصابون بالاكتئاب.. و35٪ من طالبات الجامعة متزوجات عرفياً، و30٪ من الفتيات المصريات فى المدن يدخن الشيشة، وأرقام أخرى كثيرة لو جمعناها معاً لما وجدنا فى الشعب المصرى كله من هو سليم أو معافى.

والغريب أن بعض هذه الأرقام يصدر عن هيئات علمية وبحثية فى مصر والخارج.. مركز البحوث الاجتماعية والجنائية، مجلس الوزراء ودعم اتخاذ القرار، هيئة التعبئة والإحصاء، الجامعات والمعاهد العلمية.. المنظمات العالمية.. منظمة الصحة واليونيسيف واليونيسكو.. الكل يدرس ويبحث ويخرج لنا بالأرقام والنسب والإحصائيات.. والجرائد والتليفزيونات تنقلها لنا مجردة ومنزوعة

الدسـم، ومجتزئة ومحرفة ومنتزعة من السـياق الـذى قيلت فيه أو من عينة البحث أو جمهور الاستطلاع الذى أجريت عليه، والنتيجة هى هذا الهـوس الجماعى بالأرقام والإحصائيات التى فقدت قيمتها وتأثيرها من كثرة ترديدها وتكرارها كالأغانى البايخة والأسطوانات المشـروخة.. فلعبـة الأرقام ليسـت جديدة، والحكومـات والأنظمة الديكتاتورية هى أول من اخترعت الأرقام وتلاعبت بها وبنا.

وهل يمكن أن ننسى نسبة الـ ٩٩,٩٪ التى كان ينجح بها الرئيس فى أى استفتاء، وهل ننسى تصريحات رؤساء الحكومة المتعاقبين عن حجم النمو ونسبة التضخم ومعدلات التنمية.

ولـى صديـق مغـرم بالأرقـام تعقـب مـرة أحد رؤسـاء هذه الحكومات وراح يتتبع الأرقام التى يدلى بها حول الموازنة العامة وحجم الإنفـاق الحكومى وميزانيـة الدولة وأرقـام الدين الداخلى والخارجـى، ووجده يقول فى كل مناسـبة أرقامـاً مختلفة، ولاحظ أنـه كان يقرأ الأرقام فـى البداية من ورقة أمامه ثم أصبح يرتجلها حسب الموقف وكأنه يحفظها عن ظهر قلب.. أو كأنه لاعب ثلاث ورقات يحترف الغش والتدليس والتلاعب، مطمئناً إلى أن أحدا لن يراجعه أو يحاسـبه أويتوقف عند أرقامه، ويقارن ما قاله هذا العام بما قاله السنة الماضية، وما يقوله فى مجلس الشعب، بما يقوله فى جلسات الحزب.

فالأرقـام لا تكذب ولا تصـدق ، ونحن الذين "نسـتف" الأوراق، ونلـون الحقائق ونجتـزئ المعلومـات.. وجرب إذا كنـت صحفياً أن

"تفبرك" أى رقم من دماغك وتستطلع آراء المتخصصين حوله، ولا تنس أن تنسبه إلى مركز بحثى أو جهة علمية أو منظمة دولية، وسوف يجيبونك على الفور، مؤيدين أو معارضين دون أن يكلف واحد منهم نفسه بالتثبت من المعلومة أو الرقم، أو الرجوع إلى المركز أو الهيئة التى قلت له إنها توصلت إلى تلك النتيجة.. فالمهم أن يقول "البقين" وتظهر صورته فى الجريدة أو صوته فى الإذاعة، أو تتاح له فرصة التنظير والتحليل والتعقيب فى برنامج "توك شو تليفزيونى لزوم الشهرة والتلميع!.

إنها حالة عامة من الاستسهال والعشوائية الفكرية وتناول الجد بما هو هزل، والهزل فيما يستدعى الجدية والموضوعية.. ولذلك فقدت المعلومة بريقها وفقد الرقم قيمته وتحول الفضاء الإعلامى الواسع إلى ساحة لحوار الطرشان و"مكلمخانة" منصوبة ليل نهار.. وأصبحنا فى بلد القابض فيه على عقله كالقابض على جمرة من النار!

أمة بدون فرامل!

ليس من المنطق أو الإنصاف أن نلوم عمرو خالد أو غيره ممن نسميهم إعلامياً بالدعاة الجدد على نجاحهم فى الوصول إلى قاعدة عريضة من الجمهور ، فى الوقت الذى فشل فيه غيرهم من الدعاة التقليديون ، أو ممن اصطلح على تسميتهم بالشيوخ الرسميين أو دعاة الأزهر والأوقاف فى التأثير والتخاطب بلغة العصر ، مع إصرارهم على نفس الخطاب القديم الخارج من بين صفحات الكتب التراثية القديمة ، والبعيد كل البعد عن لغة العصر ومفرداته ..

وليس من العقل أو الحكمة أن نطعن الناس فى فطرتهم أو قدرتهم على "الفرز" والتقييم لمجرد أنهم انجذبوا إلى دعاة يخاطبونهم بلغة بسيطة ويشرحون لهم أمورا استعصى عليهم فهمها وأمور حياتية ترتبط بشكل أو بآخر بالدين الذى يحيطنا ويغلف حياتنا ، ويحرك مشاعرنا ويقود أحكامنا وتوجهاتنا لأنه ببساطة جزء مهم وأساسى فى تركيبتنا النفسية والاجتماعية ومصدر نلوذ به أحيانا للهروب من أزماتنا ، ونحتكم إليه فى تفسير إشكاليات كثيرة ، والإجابة عن أسئلة معقدة نشأت بالأساس نتيجة تخلفنا عن اللحاق بركب الحضارة والتقدم الذى سبقتنا إليه أمم أخرى ،وتحولنا إلى مجرد مستهلكين لما تنتجه من وسائل العصر ومستلزماته دون أن نسهم بشكل حقيقى فى إبداع هذه الوسائل والمنجزات .

ولم يتبق لنا سـوى أن نمسك بترمومتر الدين أو ميزان حساس من الأحكام الفقهية لنقيس به كل ما ينتجه العالم المتقدم من نظريات إنسانية أو مخترعات حديثة أو اكتشافات علمية أو تجارب بحثية ..

ونصبـح مثـل المتفرجين فى الملاعـب الرياضية نشـجع اللعبة الحلـوة ونصفـق لها ، ونهاجـم اللعبة التى لا تعجبنـا واللاعب الذى لا يـؤدى بالطريقـة التى نهواها دون أن نشـارك فى اللعب أو نصنع الأهداف .. فإذا أعلنوا عن تجربة لاستنسـاخ البشـر .. قلنا لا .. هذا حـرام لأنـه يخالف حكمة الله فى الخلق ، رغم أن أحدا لم يسـألنا عن رأينـا أو يعبأ بـه ، ورغم أن الباحث نفسـه أو صاحب التجربة ليس مسـلما من الأسـاس ، ولا يعنيه بالمرة إن كانت تجربته العلمية تلك توافق الشريعة الإسلامية أو تتناقض معها ، بل هو لم يسأل نفسه من الأسـاس إذا كانت هذه التجارب سـتلقى رضا وقبول رموز وحراس الدين الذى ينتمى هو إليه..

وإذا توصـل العلماء فى الغرب إلى طرق جديدة لزراعة الأعضاء أو إنقاذ المرضى .. دخلنا نحن فى مناقشات عقيمة عن مدى ملائمة ذلك للشـريعة .. وعطلنا القوانين التى اقترحـت لتنظيم هذا النقل وتقنينه .. واكتفينا باللف والدوران ، لنتفادى غضبة رجال الدين ونجوم السياسـة المتخوفيـن من اتهامهم بمخالفة قوانين السـماء ، وتركنا الأمور معلقة وغامضة وملتبسـة .. وتركنـا الفقراء يموتون ، والأغنياء يسـافرون للعلاج على نفقتهم أو نفقة الدولة .. لا يهم .. والأهم ألا ندخل فى مواجهة مع الدعاة رسميين ،أو قطاع خاص .. سلفيين أو مجددين.. راغبين فى

رضـا الله أو عدم إحـراج الحكام .. والنتيجة واحدة .. صراع بلا نهاية ، وخـلاف بلا طائل حول البديهيات ، واتهامـات متبادلة بالعلمانية أو التخلف والأصولية .. لا فرق .. فليمت من يمت ولينجو من يملك المال أو الواسطة .. ولتبق الحقائق غائبة أو معلقة إلى يوم الدين .

والمشكلة ليست فقط فى قوانين محبوسة فى أدراج المجالس النيابية خوفا من الاتهام بالزندقة أو الخروج على الشريعة والشرعية .. الأزمة الأكبـر فى قرارات مصيريـة وقضايا حياتية راهنـة تحتاج إلى حزم وحسـم حتى لا يغـرق المركب بمن فيه ..والخلاف ليـس دينيا فقط .. والهـوة بيـن المفروض والمرفوض تـزداد كل يوم اتسـاعا .. فالدعم على سـبيل المثال صداع موروث من أيام الدولـة الأم والأب الحنون فى السـتينات ، والإبقاء عليه بنفس الشـكل والوتيرة كارثة اقتصادية يعلمهـا الخبـراء جيـداً ، والحكومة وجدت الشـجاعة لتجاهـر بها ثم ابتلعتها أمام " هبة" الفوضويين العنترية ، فعادت إلى طريقتها القديمة فـى التأجيل والتسـويف والتحايل واللعب على الحبـال ، والبحث عن مهدئات ومسكنات قد تخفف من حدة الألم لكنها لا تعالج الورم الخبيث ولا تسـتأصله .. والمتاجرون بمعاناة الفقـراء يجدون دائما ما يقولونه ويطنطنون به ، ولا يتوقفون أبدا عن اللوع والكذب .. والضحية مستقبل أمـة كاملـة تاهت وتاه أهلها بين موروثات دينيـة واجتماعية معوقة .. وتجار شـعارات ومحترفى هتافات ودعاة فتنة وأنصاف مثقفين وهواة اسـتعراضات سياسـية وألاعيب بهلوانية ، ابتلانا الله بهم ، حتى كلما تقدمنا خطوة إلى الأمام ، عادوا بنا عشـرات إلى الخلف .. اللهم خفف كلامنا عليهم ، لكى لا يتهموننا بالعمالة للحكومة أو الزندقة !.

الفصل السادس:

ما قل وشل

✍ المصرى أحسن واحد فى الدنيا يطبق القانون.. ويحطه فى جيبه!

✍ أنا مصري..إذن أنا تعيس!!

✍ نحن شعب يدمن العتاب ..ولا يعرف قيمة التسامح.. ولا ثقافة الاعتذار!!

✍ المصري أحسن واحد يكلمك عن الديمقراطية وحرية الرأي.. وأول ما تختلف معاه يشتمك أو على الأقل يكرهك ويسخف رأيك!!

✍ جيت أتصالح مع نفسي..ما رضيتش!!

✍ الحب من غير سبب.. قمة الأدب!!

✍ نعم أستطيع أن أسامحك..لكنني لا يمكن أن أنسى ما فعلت!!

✍ التجاهل. .أصعب أنواع العقاب.. يقتل ولا يجرح!!

✍ العقل السليم في الجسم السليم..مقولة خاطئة..بدليل أن معظم العباقرة والمفكرين كانت صحتهم مش ولابد وبعضهم كان عليل ومريض!!

✍ لو بطلنا نحلم..نفوق!!

✍ إن كان لك عند الكلب حاجة..إرمي له عضمة!!

✍ برودة الجو.. دواؤها دفاية وبطانية.. لكن برودة المشاعر وبلادة الإحساس لا دواء لها!!

✍ احتضني كفي في كفك ..لعل دفء احتضانهما ينسينا برودة العالم.

✍ وطول ما قلوبنا مشتاقة..مسير الحي يتلاقى!!

✍ إن كان حبيبك عسل..إمنع عنه من الذباب!!

✍ من فضلك..لا تحكي لي همومك..فعندي من الهموم ما يكفيني.. وقل لي شيئاً أسعدك ويمكن أن يعينني على مواجهة كآبة الحياه!!

✍ لماذا أتيت الآن.. وأنا أستعد للرحيل؟!!

✍ ليتذكر من يريد أن يضرب خصمه "بالشلوت" أنه سيقف على قدم واحده!!

✍ لن تستطيع أن تتعلم من أخطائك دون أن تراجع باستمرار أفكارك..فلا تجعل الكبر والعناد يحرمك من لذة الوصول إلى الحقيقة!!

✍ ليه معظم الحاجات الممتعة في الدنيا.. يا إما عيب.. يا إما حرام؟!!

✍ كن جميلاً..ترى الوجود جميلاً..كوني جميلة ترين الوجود كله بيعاكسك ويقول لك يا جميل انت يا طعم!!

✍ فيه ناس مشغولين بالناس لدرجة انهم مش لاقيين وقت يفكروا في أحوال نفسهم!!

✍ ناس كتير بينصحوني ويقولوا لي ..لازم تعيش حياتك.. وأنا معاهم طبعاً.. لكن ماحدش بيقولي أعيش حياتي إزاي يعني واعمل إيه؟!!

✍ لماذا لم أعد أفرح بشئ..هل وصلت إلى حالة الزهد أم الاكتئاب؟!!

✍ فاكر آخر مرة ضحكت من قلبك لدرجة إن عيونك دمعت؟!!

✍ أدوات عند النساء: هي إصبع الروج وقلم الحواجب وبودرة الوجه والماسكرا.

أدوات عنـد الرجـال: هي إصبع الخيانة والقلـم المرتعش وبودرة النفاق والمسخرة.

✍ لمـا تاخد ٣ سـاعات رايح و٣ سـاعات جاي فـي الطريق.. علشان تروح تشتغل نص ساعة وترجع..يبقى انت أكيد في مصر!!

✍ زي مـا فيه نـاس تصرفاتها مثيرة للضحـك.. فيه ناس تانيه كلامها مسيل للدموع!!

✍ الكلام في السياسة أفسد حياتنا وعلاقاتنا..ولم يخرج عن اللغو و"الرغي"..لا اتعلمنـا الديمقراطية ولا زاد وعينا ولا اصبح لنا تأثير في صنع القرار!!

✍ بعد الارتفاع الجنوني لأسـعار اللحوم.. بلاها أضحية السـنة دي.. وتعالوا نعطي فلوس الأضاحي للفقراء يشتروا بها ما يريدون!

✍ قابلت أنواع كتير من البخلاء..أسـوأهم من يبخل على الناس بكلمة تقدير أو اعتذار.. ومن هو بخيل على الناس كريم مع نفسه!

✍ فيه حاجات من كتر ماهيه واضحة قدامك..ما بتشوفهاش!

✍ في الدنيا كلها..من بين كل عشرة كويسين تقابل واحد وحش.. وعندنا من بين كل عشرة تقابل واحد كويس..وعايزين نحارب الفساد.. طيب إزاي!

✍ من يقرأ تاريخ مصر..يعرف أننا كنا وما زلنا دولة ظلم وقهر وفساد واستعباد!

✍ ليــه عمــري ما شـفت في فيلــم اجنبي حد بيتكلم عن الحســد والعين؟!

✍ الاهتمام الزائد مثل الإهمال يؤدي إلى نتائج عكسية!

✍ المرأة لا يمكن أن تنسى أبداً رجلاً أحبها..طيب والرجل؟!

✍ الجهل أخطر من الفقر والمرض.. لأن الفقر والمرض قدر.. لكن الجهل اختيار!

✍ "الدلدول"..هــو الشــخص الذي لا يســتطيع أن يعيش بدون مرشد!

✍ ســألت واحد ملحد..عندما تستشــعر ظلماً..لمن تشــكو..ومن تدعو..وتقول إيه؟!

✍ الآن في مصر.. اللي يعرف بلطجي.. أحســن من اللي يعرف محافظ!

✍ فيه ناس أعتبرهم بمثابة مرشــدين لي للخطا والصواب بشكل عكســي..فأي شئ يشــيدون به أعرف إنه فاشل.. واي حاجة يهاجموها أزداد تمسكاً بها!

✍ مصر دولة مش فقيرة ..مصر دولة فيها ظلم وسوء توزيع!

✍ لــن يصبــح لنا قيمة وســعر في العالم..ما لــم نتوقف عن جلد الــذات ونتخلص مــن نزعة التباكي علــى الماضي وتســفيه الحاضر والتســابق في ذكر المساوئ والعيوب..كيف ســيحترمنا الآخر ما دمنا نتلذذ بإهانة أنفسنا؟!

✍ المشـكلة في ثقافة القطيع أن الراعي ليس هو القائد المسـئول ولكنه صاحب غيط البرسيم!!

✍ الملتحون.. جانباً !

✍ كنت فاكره رأسمالي.. طلع "رأس شرقي"!!

✍ بعـض النـاس عندهـم حضور..كثيـر مـن النـاس عندهـم انصراف!!

✍ فتحـت درج ذكرياتي..فاندهشـت.. لمـاذا احتفظـت بتلـك التفاهات..كل هذا العمر!!

✍ إذا أردت أن تتخلـص من شـخص يطاردك فـي كل مكان.. فاطلب منه خدمة!!

✍ حياتي في كلمات: من البيت للشغل ومن الشغل للفيس!!

✍ أجمل متعة في الحياة ..هي التي تفعلها خلسة!!

✍ إذا أردت أن تعـرف حقيقة إنسـان.. شـاهده وهـو يأكل في "بوفيه مفتوح"!!

✍ كل شئ في الدنيا له ثمن..حتى الحب!

✍ القابـض على عقله فـي مصر الآن.. كالقابض على جمرة من النار!!

✍ لا تخطئ كثيراً حتى لا تضطر لأن تعتذر كثيراً!!

✍ إذا لـم يلاحظ الآخـرون غيابك.. فقم فصلـي صلاة الوداع.. فأنت ميت!

✍ اللـي يقول للأعـور ..انت أعور في عينه.. مش شـجاع..ده جلياط وقليل الذوق!!

✍ ست بـ١٠٠ رجل..تعبير يسئ للاثنين!!

✍ الأخلاق موجودة قبل الأديان.. فلماذا عاشـت الأديان وماتت الأخلاق؟!!

✍ اللي بنى مصر كان في الأصل حلواني..وآدي النتيجة ..الدنيا كلها بتعمل معانا الجلاشة..مش لو كان اللي بناها مهندس كان أحسن؟!

✍ الحب عن بعد..أحد أهم إنتاجات عصر الفيس بوك!

✍ ملعون أبو الطموح اللي يذل صاحبه!

✍ العدالـة في مصر مش عمياء..العدالة عندنا "حولاء"..تطبق دائمـاً على الغلابة.. وتطبـق أحياناً على الأقوياء لو تجاوزوا الخطوط الحمراء ونسيوا قواعد اللعبة.

✍ أحسـن حاجـة ممكن تعملهـا في الظروف دي علشـان تبقى مبسوط إنك ما تعملش حاجة!

✍ بعد ٦٣ سـنة تجارب "منـذ يوليو٥٢"..ما زلنا نعيش عصر دولة الوان مان شو!

✍ البعـض يتقاسـمون "التورتة"..والبعـض يتصارعـون- كالذباب- على جيفة!

✍ إذا لم تحب..فافعل ما شئت!

✍ ذهب شـاب لخطبة فتاة وسـأله والدها ..بتشتغل إيه يا ابني.. قال له لا مؤاخذة إعلامي..رد عليه: وماله يا ابني الشغل مش عيب!

✍ إثنان يحملان لقب ملياردير ولم يقدما شيئاً لمصر..ولم يتبرعا في حياتهما ولو بجنيه..محمد حسنين هيكل وعادل إمام!

✍ مافيش حاكم بقى حاكم!

✍ عمر البلد دي ما هتشـوف خير..طول ما بيربطوا الكوز في الكولدير!

✍ سـؤال ما يزال يحيرني..متى يسـقط الرجل في عين المرأة.. ومتى تسقط المرأة من عين الرجل؟!

✍ شركات الاتصالات..لصوص ولكن ظرفاء!

✍ مـش عيب إنـك تكون من أصـل متواضع..العيب إنك تكون متواضع الأصل!

✍ لو كنت ناسي..أعورك!

✍ أحلامنا في سـوق الحلم مش أحلام..وسـموها في بلاد بتقدر الإنسان..حقوق الرفق بالحيوان!

✍ لا صوت يعلو فوق صوت "السهوكة"!!

✍ أتعس قلب..ما اعتصر مثل الليمونة.. ولم يعد فيه شئ يعطيه لأحد!!

✍ الكـره مثل الحب..نوع مـن الاهتمام..والأصعـب ألا تتذكر شخصاً إلا حين تراه!

✍ عايز تخسـر حد مش طايقه.. إوحي له إنك ناوي تستلف منه حاجه.. وكل ما تشـوفه ..قل له..إنت وشـك مخطوف ليه..سـلامتك.. إنت عيان!!

✍ عمر النجاح ما ييجي صدفة!!

✍ الفقراء لا يدخلون البرلمان..والصادقون يمتنعون

✍ لمـا صحفـي موهـوب يقبل يشـتغل خدام عند رجـل أعمال لمجرد الطمع وهوه مش محتاج فلوس..يبقى المهنة لمت..والله يرحمك يا حمامصي!!

✍ لمـا يبقى رئيس تحرير وعمره في حياته ما كتب مقال..يبقى انت أكيد في مصر!!

✍ أطرف شتيمة سمعتها ..واحد بيقول لواحد تاني..انت بتتنطط عليا ليه..ده ابوك من قصره كان بيعدي من تحت الطبلية واقف!!

✍ الإخـوان والناصريـون وجهـان لعملة واحده اسـمها عبادة الشخص وتأليه الزعيم الملهم المهيب الركن البعيد الهادي!!

✍ المتلصصون.. أردأ أنواع البشر!!

✍ فيه ناس من كتر حبها لنفسها.. باحسد نفسها عليها!!

✍ بعد أن تحولت برامج التوك شو إلى نسخة واحدة "كوبي بيست" بنفس الموضوعات والضيوف..ليه ما يضموهاش كلها في برنامج واحد..

وكل مذيع أو مذيعة يقدمها يوم..أو يضموا الفضائيات كلها في قناة واحدة ويخلصونا!!

✍ ليـه العالـم كلـه، شـرق وغرب، فيـه تفجيـرات وعمليات إرهابية..إلا إسرائيل؟!

✍ ليه كل برامج التوك شو بتركز على النماذج الشاذة والحوادث الغريبة والنـاس الرقيعة.. فين مصر الحقيقية.. فين العلماء والمبدعين والناس الطيبين المخلصين؟!

✍ أغـرب مـا فينا نحن العـرب أننا نتصور اننـا يمكن أن نحل مشـاكلنا بمجرد الشكوى منها أو بالجدل حول سبل الحل دون أن نتخذ أي فعل حقيقي لحل المشكلة ثم نستمر في الشكوى وكأنها كفيلة وحدها بحل المشكلة!

✍ العين..أعظم جهاز لكشف الكذب!

✍ الإعلام..خدام سيده!

✍ مش كل اللي بيشتكي لك موجوع بجد.. ولا كل اللي بيضحك سعيد!

✍ الحاكم المبتدئ مثل الحلاق المبتدئ بيتعلم الحكم في رؤوس الزبائن!

✍ اللي يسـتهين بغضب الناس ويحاول يسـتغفلهم..بيلعب في عداد حكمه!

✍ بعد الارتفاع الجنوني لأسعار اللحوم..العيد "فرخة"!

✍ حلـو إن يكون شـكلك أصغر من سـنك..الأحلى يكون عقلك أكبر من سنك!

✍ ليتذكر من يريد أن يضرب خصمه "بالشـلوت" أنه سـيقف على قدم واحده!!

✍ فيه ناس بتستخسر في نفسـها الفرحة..وتحب تضيعها بالقلق على المستقبل..يعني لازم تنكد على نفسها وخلاص!

✍ "القماص"..أصعـب أنـواع البشـر في التعامـل معه..عايز كتالوج علشان تعرف ايه اللي بيزعله وايه لا..وعود نفسك تعتذر أول مـا تشـوفه لأنه أكيد هيكون زعلان من حاجة انـت عملتها وانت مش واخد بالك!

✍ نعم أستطيع أن أسامحك..لكنني لا يمكن أن أنسى ما فعلت!!

✍ لمـاذا لا يذيع التليفزيـون والفضائيات مقطوعات موسـيقى خالصـة وراقيـة بين البرامـج والفقـرات المختلفة حتـى ننظف آذان المستمعين ونعودهم على تذوق الموسيقى؟!

✍ يارب كسـح ..كل ناشط سياسـي..إهمدوا بأه خنقتونا علشان تتغنوا على قفانا!!

✍ السياسـة هي فن إقناع الناس بعـدم الاهتمام بكل ما يجب أن يهتموا به والانشغال بشخصيات تافهة وأمور لا تعنيهم في شئ!

✍ القابض على عقلـه في مصر الآن..كالقابض على جمرة من النار!!

✍ قبضوا على واحد بلدياتنا بيربي كوادر سياسـية وحزبية فوق السطوح!

✍ الإحساس..نقمة!

✍ إمتى القلوب ممكن تصدي؟!

✍ إعمل نفسك..حي!

✍ الجهـل أخطر من الفقر والمرض..لأن الفقر والمرض قدر.. لكن الجهل اختيار!

✍ هل ممكن شخص كويس..يبقى صديقه "الأنتيم" إنسان قمئ؟!

✍ توفيق عكاشة..وأحمد موسى..إخوات في الوضاعة!

✍ إذا فقدت الثقة بين اثنين..ساد سوء التفاهم بينهما!

✍ لو كنتوا "إخوان"..اتحاسبوا!

✍ اختلفنا على كل حاجة..واتفقنا نكره ونجرح ونخون بعض!

✍ بعد ما شاب..باس الأعتاب!

✍ ألـذ حاجة يدخـل يصلي التراويح أو التهجد ويسـد الشـارع بعربيته ..التدين المصري اللذيذ..هوه ياخد ثواب..وانت تكره نفسك!

✍ حصرياً في مصر..القوانين تكبل العدالة..ورجال القانون أول من يخالفونه.

✍ عمرو خالد..نجم زائف..لمع بشدة ثم انطفأ!

✍ كل حاكم ديكتاتور..يلزمه شعب طرطور!

✍ الحرية بدون مسئولية..فوضى وبوابة للخيانة!

✍ العدالة لكي تكون ناجزة يجب تطبيقها على الكل بدون تمييز!

✍ سؤال ..هل ينفع جندي يعمل شات مع أي حد سواء مدني أو عسكري..الا يعرضه ذلك ويعرض كتيبته للخطر؟!

✍ قصور الثقافة..قصور في الثقافة!

✍ كلام الناس بيقدم ويؤخر وينور عقول ويخرب بيوت!

✍ لو لم تكن فاسداً ستفسدك الحكومة والشعب..يعني يعطوك مرتباً ويمنعوك من العمل..أو تجد نفسك مطالباً بأن تدفع رشوة في كل مكان تذهب إليه وإلا تعطلت مصالحك ووقف حالك!

✍ المحامون وضباط الشرطة طول عمرهم ما بيحبوش بعض.. وكذلك ضباط الشرطة ووكلاء النيابة..وضباط الجيش وضباط الشرطة..تراكمات قديمة وصراع على من الأقوى والأكثر سلطة.. ولن يزول ذلك إلا حين يتحقق العدل ويتساوى الجميع أمام القانون.

✍ فاشل ومكروه..من لا يستمع بإنصات إلا لصوته!

✍ المدير في مصر..لو نجح يقول لك..شفت عبقريتي..ولو فشل..يقول لك ما حدش عندي بيشتغل ولا يعرف يشتغل..كلهم فاشلين إلا أنا!

✍ من لا معلومات عنده..لا رأي له!

✍ من تعود على السمع والطاعة لا يعرف التفكير الحر ويبحث دائماً عن مرشد!

✍ الحلاق..الشخص الوحيد الذي تنحني له كل الرؤوس!

✍ الكتابة على الفيس بوك..أشبه بالتمثيل على المسرح..تعرف رد الفعل وقتيا..يا الجمهور يقول الله..يا يسكت وما يعلقش..غير الكتابة في الصحف..تحس إنك بتدن في مالطة!

✍ في أوروبا والدول المتقدمة يسجنون من ينكر ''الهولوكست'' بتهمة معاداة السامية ..أما من ينكر وجود الله فيعتبرون أنه يمارس حرية التعبير!

✍ الانسان حيوان عاقل..الانسان حيوان ناطق..الانسان حيوان سياسي..يعني هيه شتيمة وخلاص؟!

✍ وهيه الثقافة في مصر إيه غير شوية ندوات فوق بعض ومؤتمرات وعزومات وبدلات وسفريات ومكلمخانة كبيرة!

✍ ليه يا زمان ما سبتناش أغبيا!

✍ فيه ناس مشاعرها وافكارها واسرارها على الهواء مباشرة.. وذاكرتها ولسانها من النوع التيفال لا يلتصق بها شئ ولا تستطيع أن تحتفظ لنفسها بشئ..هؤلاء هم الزبائن المفضلون للأطباء النفسيين ودموعهم لا تجف أبداً!

✍ نحن لا نحترم خصوصيات الناس..ثم نغضب جداً إذا تدخلوا في خصوصياتنا!

✍ فاقد الشـــئ ..أحياناً يسرقه..وأحيانا يشتهيه..وغالباً يسطو عليه وينسبه لنفسه!

✍ الموبايـل خلانا بقينا عاملين زي السـياح اليابانيين..بنصور الأماكن ولا نستمتع بها!

✍ حتى أنت..يا أنا!

✍ المحترم..هو الشخص الذي يُغلب الكرامة على المصلحة!

✍ لا جيش في السياسة ..ولا سياسة في الجيش!

✍ اللـــي يزعل مـــن الصراحة..ما يتزعلـــش عليه..واللي عايز يفهمك غلط..لا يمكن يسيبك تفهمه الصح!

✍ تستطيع أن تبدأ في أي وقت..وأي عمر..المهم أن يكون لديك الرغبة والإرادة..ولا تعطي اذنك لمن يحبطك ويكسر مقاديفك!

✍ مصطلحات صيفية:الإعلام المصري..مزيل وعي!

✍ في أوروبا والدول المتقدمة عايشـين الدنيا وناسـيين الدين.. واحنا كرهونا في الدنيا وبيشككونا في الدين!

✍ الدنيا ما بتديش عايز..ولا مش عايز!

✍ وبحب أسهر للصبح..في البيت!

✍ لمــاذا تحول الدين من منارة تضئ الطريق إلى الله إلى متاهة تثير الأحقاد والضغينة؟!

✍ مصر ولادة..يموت موهوب يولد ألف..ومصر ولافة..تتآلف ويتآلف شــعبها مــع كل جنس وظرف..ومصر ولاعــة تحرق كل من يتآمر ضدها ويريد أن يختطفها!

✍ الموظف..شخص يبيع جزء من عمره..مقابل بعض المال!

✍ المفــروض يعلقــوا في بعــض الأماكــن "يافطات"..مكتوب عليها..ممنوع التلسين!

✍ عمري ما خططت لحاجة ونجحت في تحقيقها..وكل ما تحقق لي جاء بالصدفة!

✍ إذا اضطررت للدخول في معركة..فلتكن لك الضربة الأولى.

✍ لا يعرف قيمة النجاح إلا من تذوق طعم الفشل!

✍ الحب الحقيقي..هو الحب بدون شروط!!

✍ النــاس بيبقى عندها غالباً حنين إلــى الماضي..أنا حنيني إلى المستقبل يمكن يكون أفضل!!

✍ الحيــاه مثل المينــي باص..مهما اختلفت المســافات..فالأجرة موحده!!

✍ امتى تموت..يا عنكبوت..شــبك خيوطه ع البيوت ٣٠ سنة.. وفات لنا..الفرقة والخوف والبهوت..والذكريات المحزنة..

✍ سـؤال للأخ اللي قال ..إذا كان حبيبك عسل..ممكن حضرتك تحدد بالضبط الكميه المسموح بلحسها؟!!

✍ القناعة..حل واقعي جداً لتقريب المسافة بين الرغبة والقدرة!!

✍ مهمـا قرأت على شاشـة الكومبيوتر..لا يمـلأ عيني وعقلي سوى الكتاب الورقي!!

✍ الغيرة ملح الحب..لو زادت عن حدها تفسـد الطبخة ولو قلت أو اختفت تجعل العلاقة بلا ملح "دلعة"!!

✍ المطر بركة في كل مكان إلا في مصر المطر حوسة ودوسة وزحاليق!!

✍ فيه ناس عندهم دين..وناس عندهم ديل!!

✍ ركبت مع سائق تاكسي..وبمجرد أن سألته..مالك حتى حكى لي أدق أسـرار بيته وحياته الشـخصية جداً..وكل شـوية يقول لي ..أصلك يا أستاذ مش غريب..قلت له..طبعا..ما دمت ركبت معاك..بقيت من العائلة!!

✍ مـا أجمل أن يكـون لك لون و اتجـاه ورأي ورؤية..حتى لو كانـت تختلف مع رؤيتـي وقناعاتي..فأنا لا أحـب المحايدين الباهتين الآكلين على كل الموائد.

✍ كلما زاد عدد الفقراء في مصر..زادت المنتجعات ومسابقات الغناء وبرامج الطهي!!

✍ الخـلاف في الرأي..يفسـد الود والقضية وفد يجعلك تخسـر أقرب الناس إليك!!

✍ في مصر..المناصب تعطي كمكافآت وليس للكفاءات..وحجم علاقاتك أهم بكثير من حجم موهبتك.

✍ ســت حزيناً لأنك كذبت عليَّ ..لكنني حزين لأنني لن أستطيع تصديقك بعد ذلك!

✍ مش مهم تقعد أد إيه على الدكة..المهم لما تنزل الملعب تجيب جول!!

✍ لرسول الكريم بيقول ..إذا أحب احدكم أحداً فليقل له أنه يحبه.. والكلمة الطيبة صدقة..إحنا ليه بنستخسر مشاعرنا الحلوة في بعض؟!

✍ كل عمل في مصر يلزمه الحصول على شــهادة ورخصة إلا الإعلام والدعوة الدينية!

✍ لما باشوف ألاعيب بعض الناس..وازاي بيتآمروا ويخططوا.. أقول لنفسي يا غلبان..كويس إنك عايش وسطيهم والله!!

✍ اللي يحب مصر ما يرميش الزبالة في الشارع!

✍ مافيش حاجة في الاســلام اســمها رجل دين..الدين عمره ما كان شغلانة ولا وسيلة لاكتساب الرزق!

المصريون..الشــعب الوحيد في العالم الــذي يجمع بين نقيضين لا يجتمعان أبداً..تضخم الذات والانبهار بكل ما هو أجنبي!!

✍ كمــا تلتمس الأعذار للغيــر وتخاف على إحساســهم..التمس العذر لنفسك ولا تقسو عليها!

✍ فيــه ناس بتفتــش في جيوبك وناس بتفتــش في عيوبك وناس بتفتش في ضميرك!

✍ إذا كان الاختــلاط ممنوعاً في الإســلام..فكيف أنقذت ســيدة الرســول الكريم مــن القتل في إحــدى المواقع..ولماذا ســمح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيدة بأن تجادله وتنتصر عليه بحجتها القوية حتــى قال..أصابــت امرأة وأخطــا عمر..وهل كانت تكلمــه من وراء ستار..ولماذا لم يقل لها أحد أن صوت المرأة عورة؟!

✍ عايز تخسر حد..كل ما تشوفه انصحه!

✍ فيــه ناس لابســة وش طــول الوقت..وحتى "تــون" صوتها مزيف ومصطنع!!

✍ حيــن توجه الصحفيــون لتقديم البرامج..وحولوها إلى نســخ مرئية من صحفهم..أفسدوا الشاشة والصحف معاً!

✍ كل شــئ يزول بريقه مــع الوقت..والفرحة عمرها أقصر من عمر شعلة عود الكبريت!

✍ كن صادقاً مع نفسك..ولن يستطيع أحد خداعك!

✍ إبتعد قليلاً ..ترى الصورة أوضح!

✍ مش عيــب تفتكر ربنا في "الزنقة"..فيــه ناس ما بتفتكروش خالص وما بتدخلش الجامع إلا لما تموت علشان يصلوا عليها!

✍ عايشــين بالحد الأدنى..عايشــين ع الحد الأدنى..عايشين في الحد الأدنى!

✍ الجنة ليست حكراً فقط على المسلمين..وليس معقولاً أن يدخل مجدي يعقوب النار لأنه مسيحي وتدخل فيفي عبده الجنة في النهاية لأنها مسلمة.

✍ فيه ناس من كثرة أنانيتهم ونرجسيتهم وتقديسهم لذواتهم.. تحس إنهم واخدين نفسهم عن حب!

✍ تجربتك العاطفية الأولى..تحكم حياتك العاطفية كلها!

✍ عبارة لا تسمعها إلا من مسئول مصري..ما عنديش أجيب لكم منين..وكأنه بيصرف على شعبه أو موظفيه من جيب البابا بتاع الهوه..متى يفهم المسئول مهما علا منصبه أنه خادم لدى الناس ولو راح في ستين داهية هييجي الأحسن منه؟!

✍ بعض الناس تحس إنه كلاسيكي جداً..لدرجة إن موضة وشه بطلت..استغفر الله العظيم!

✍ المصريون.. أكثر شعوب العالم افتخاراً بأصولهم غير المصرية!

✍ أسوأ شئ في الحياه أن تجبر على التقاعد وأنت في قمة عطائك!

✍ قبل أن تطالبوا الناس بالعمل..أوجدوا لهم عملاً!

✍ ليس معنى أننا شرفاء وطيبون أن نترك مواقعنا التي نستحقها ونتنازل عنها للأشرار!

✍ بعـض النــاس يفعلــون معك كمــا كان يفعل زمــان الطلاب الخبثاء..يذاكــرون جيداً ويســعون إليك في وقت الاســتراحة ليضيعوا وقتك!

✍ فيــه ناس بيبقى نفســك لما تقابلهم تقــول لهم..والنبي ..أبوس إيدك إكرهني بأه!!

✍ كل مــا يحتاجه أي إنســان في أزمته هو شــخص يســتمع له باهتمام دون أن يحاول أن يقدم له أي نصيحة!

✍ لماذا لا تمنع الدولة استيراد الألعاب النارية أو ترفع الجمارك عليهــا ٥٠٠٪ ..مع إغلاق مصانع بير الســلم التي تنتج أدوات الرعب والفزع..ده غير إهدار الأموال!